روايات مصرية للجيب

رجل المستحيل

آخر الجبابرة

٣٦

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

رجل المستحيل ● آخر الجبابرة ● (٣٦) ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة

المؤلف

د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

٣٦

الثمن فى مصر ٦٠ قرشًا
وما يعادل دولارًا أمريكيًا
فى سائر الدول العربية والعالم

● آخر الجبابرة ●

● كيف بقى أحد الجستابو الألمان هاربًا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى الآن ؟

● هل يمكن إخراج آخر الجبابرة هذا من دولة تطلب رأسه ؟

● ترى .. أينجح (أدهم صبرى) فى إنهاء هذه العملية أم يسقط فى براثن المخابرات الشرقية ؟

● اقرأ التفاصيل المثيرة .. لترى كيف يعمل (رجل المستحيل) .



لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ـــ ذئب وارسو ..

رفع رجل الجمارك البولندى رأسه ، يتفرَّس فى ملامح الراكب الذى وصل لتوًّا بصحبة زوجته ، على متن الطائرة القادمة من القاهرة ، ثم جذب الحقيبة المتوسطة الحجم التى وضعها الراكب أمامه ، وفتح قفلها ، وهو يقول فى صرامة اكتسبها من طول عمله فى الجمارك :

ـــ هل معكما مطبوعات أو عملات شرقية أو .... ؟

قاطعه الراكب فى ارتباك يوحى بعدم اعتياده مثل هذا النوع من الإجراءات :

ـــ إننا لا نحمل سوى ملابسنا ، فلن نقضى أكثر من أسبوع .

أخذ رجل الجمارك يعبث بمحتويات الحقيبة ، وهو يختلس النظر إلى الراكب ، الذى عدَّل من وضع منظاره الطبِّىّ ، ثم أعاد خصلة نافرة من شعره الأسود الفاحم إلى

مكانها ، وداعب شاربه فى توتُّر ، دفع رجلَ الجمارك لسؤاله فى خبث :

ـــ ماذا يقلقك أيها السيِّد ، ما دمت لا تحمل شيئًا من الممنوعات ؟

تطوَّعت السيِّدة المصاحبة للراكب ، بإجابة السؤال قائلة :

ـــ من المؤسف أن زوجى يرتبك دائمًا ، حينما يواجه أية إجراءات طويلة .

ابتسم رجل الجمارك فى مكر ، وأخذ يفتش محتويات الحقيبة بدقة متناهية ، ويدق على جدرانها ، ويقيس قاعها إلى أن تأكَّد له خلوّها التام من أيَّة ممنوعات ، فمدَّ يده إلى السيِّدة قائلًا فى صرامة :

ـــ حقيبتك من فضلك .

ناولته السيِّدة حقيبتها ، وهى تقول فى لا مبالاة :

ـــ لست أحمل سوى بعض مساحيق التجميل والحلىّ .

تأكد رجل الجمارك من صدق قولها ، وقال وهو يعيد الحلىّ إلى الحقيبة ؟

ـــ هل هذه الحلىّ مثبتة بجواز السفر يا سيِّدتى ؟

أجابته فى هدوء :

ـــ نعم .. إنها كذلك .

فتح الرجل جوازى سفرهما ، وألقى عليهما نظرة فاحصة سريعة ، ثم أعادهما إليهما مبتسمًا ، وهو يقول :

ـــ معذرة لطول الإجراءات يا سيِّد (أسامة صلاح) ، ويا سيِّدة (ماجدة) .. إنه القانون .

تناول السيد (أسامة) جوازى سفره وزوجته ، وهو يعدِّل منظاره الطِّبِّىّ ويقول :

ـــ لا عليك ياسيِّدى .. مادام هو القانون ، فليس أمامنا سوى طاعته .

حمل (أسامة صلاح) حقيبته ، وسار وإلى جواره زوجته تتأبَّط ذراعه ، وهى تتنهَّد فى ارتياح ، وتشكر ربَّها ؛ لأن رجل الجمارك لم يحاول معرفة نوع مساحيق التجميل التى تحملها فى حقيبتها ، وابتسمت ابتسامة هادئة ، حينما تصوَّرت ما كان يمكن أن يحدث ، لو أنه حاول تحليل هذه المساحيق .. كان سيصاب بصدمة ولا شك .

ثم التفتت إلى زوجها الذى سار صامتًا ، وهو يعرج فى شكل غير ملحوظ ، وهمست فى أذنه بالعربية :

ــ أما زالت ساقك تؤلمك يا سيادة العقيد ؟

ابتسم زوجها ، وقال فى هدوء :

ــ ليس كسابق عهدها يا عزيزتى .

ثم توقّف خارج المطار ، وأشار إلى إحدى سيارات الأجرة ، وهو يقول ساخرًا :

ــ يبدو أن الرصاصة التى اخترقت ساق ، قد أصابت هدفها لأول مرة .

ابتسمت الفتاة التى تتظاهر بكونها زوجته ، وهى تندسُّ على المقعد الخلفى للسيارة الأجرة ، وسمعته يقول للسائق بالإنجليزية :

ــ فندق (وارسو) أيها السائق .

ثم استرخى فى مقعده ، وأغلق عينيه ، ولم تحاول هى إزعاجه ، فاكتفت بأن اختلست النظر إليه ، ثم استرخت بدورها فى هدوء ..

ولم يكن الرجل نائمًا ، وإنما كان يسترجع فى ذاكرته الحديث الذى دار بينه وبين مدير المخابرات المصرية فى صباح أمس .. ذلك الحديث الذى قاده إلى تلك المهمة التى هو بصددها الآن ..

* * *

كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة صباحًا ، حينما دخل إلى حجرة مدير المخابرات المصرية ، الذى استقبله مبتسمًا ، وأشار إليه بالجلوس على المقعد المقابل لمكتبه ، وهو يقول :

ــ كيف حالك يا (أدهم) ؟.. هل شُفِيَتْ ساقك اليسرى ؟

ابتسم (أدهم صبرى) ، وقال :

ــ ليس تمامًا يا سيِّدى ، ولكنها لم تعد تعُوقنى .

حرَّك مدير المخابرات رأسه دلالة على الفهم ، ثم تناول صورة فوتوجرافية من أمامه ، وناولها إلى (أدهم صبرى) وهو يقول :

انظر إلى صاحب هذه الصورة جيِّدًا يا (ن ــ ١) ، وأخبرنى ملاحظاتك عنه .

تناول (أدهم) الصورة الفوتوجرافية ، ونظر إلى الوجه الموجود بها جيِّدًا .. كانت لرجل فى الستين من عمره تقريبًا ، فضىِّ الشعر ، ناعمه ، يبدو فى ملامحه أثر وسامة قديمة ، وتنمُّ عيناه الضيقتان الزرقاوان عن صرامة وبأس ، على حين توحى ذقنه العريضة بالقوة والحزم .. وتلوح على جبهته العريضة علامات الذكاء .. كان وجهه فى مجمله يوحى بالجدِّية وقوة الشكيمة ..

أعاد (أدهم) الصورة إلى مدير المخابرات ، وهو يقول :

ــ إنها صورة لرجل ألمانى أو نمساوى ، فى العقد السادس من عمره تقريبًا .. بالغ الذكاء ، قوى العزيمة ، يعمل فى الجهاز العسكرى أو المخابرات ، ولكنه يكن فى صدره الكثير من القسوة .

ابتسم مدير المخابرات ، وقال وهو يستعيد الصورة :

ــ رائع يا (ن ــ ١) .. إنك لَمْ تفقد فراستك بعد ..

ثم اعتدل ، وقال فى جدِّيّة شديدة :

ــ هذا الرجل يدعى (ڤون هملن) ، وهو باختصار آخر رجال الجستابو ، الباقين من الحرب العالمية الثانية .

اتسعت عينا (أدهم) دهشة ، وهو يقول :

ــ الجستابو ؟.. جبابرة الاستجواب الألمان !.. وكيف بقى إلى يومنا هذا ؟.. ألَمْ يحاكم بتهمة الإجرام الحربى ؟

هزَّ مدير المخابرات رأسه نفيًا ، وقال :

ــ إن (ڤون هملن) كان من أكثر رجال الجستابو قسوة وحزمًا .. ولقد طالبت معظم الجهات برأسه ، بعد هزيمة (ألمانيا) فى الحرب العالمية الثانية ، ولكنه نجح فى الفرار والاختفاء طيلة أربعين عامًا ، ولقد كان فى الخامسة والعشرين حينما سقطت دولة الرايخ ، وهو الآن فى الخامسة والستين ، وإن لَمْ يفقد الكثير من ذكائه ، ولياقته البدنية المرتفعة .

سأل (أدهم) فى دهشة :

ـــ وما علاقتنا نحن برجل الجستابو السابق هذا ؟

صمت مدير المخابرات لحظة ، ثم تابع وكأنه لم يسمع سؤال (أدهم) :

ـــ ولقد اختبأ (فُون همْلن) فى ألمانيا الشرقية ، طيلة هذه السنوات الأربعين ، منتحلًا أسماء أشخاص مختلفين .. بل لقد نجح فى الانضمام إلى جهاز مخابرات ألمانيا الشرقية ، طيلة خمس وثلاثين عامًا ، إلى أن كشف جهاز المخابرات السوفيتى حقيقته .

أطلق (أدهم) من بين شفتيه صفيرًا قصيرًا ، ثم قال فى سخرية :

ـــ وهل بقىَ منه ما يكفى لملء فنجان شاى يا سيِّدى ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وقال فى هدوء :

ـــ بل بقى منه ما يكفى لملء حُلَّته بأكملها يا (ن ـــ ١) ، فلقد استغل (فُون همْلن) تصريح السفر الذى يحمله ، وأسرع بمغادرة (برلين) فور معرفته بكشف

أمره على أول طائرة ، ولكنها لسوء حظِّه كانت متَّجهة إلى (وارسو) فى (بولندا) ، حيث وجد نفسه سجينًا هناك ، بعد أن وزَّعت المخابرات الألمانية الشرقية صورته فى كل مطارات الدول الشرقية .

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـــ ما زلت أسأل عن علاقتنا بهذا الأمر يا سيِّدى ؟

ابتسم مدير المخابرات ، وقال :

ـــ ما زلت متعجِّلًا كعادتك يا (ن ـــ ١) .

ثم تحوَّل إلى الجدِّيَّة وهو يستطرد :

ـــ لقد اختار (فُون همْلن) مصر دون دول العالم أجمع ، ليطلب منَّا مساعدته فى الهرب ، ومنحه حقّ اللجوء السِّياسىّ .

ظهرت فى وجه (أدهم) علامات الإعجاب ، وهو يقول :

ـــ يا له من رجل !! كيف فعل هذا ؟

قال مدير المخابرات :

ـــ لقد كشف لنا عن كثير مما يعلمه عنا رجال المخابرات الشرقية ، برسالة شفرية ، أرسلها إلى مكتبنا فى ألمانيا الغربية ، والذى أرسلها لنا بدوره .. ولقد أوضحت الرسالة أن (فُون همْلن) يعلم جيِّدًا أننا لن نحاول إخراجه من (بولندا) ، متحدِّين علاقتنا الحسنة بالدول الشرقية ، وأننا لن نمنحه حق اللُّجوء السِّياسىّ ، إلَّا إذا وصل بالفعل إلى مصر ؛ ولذلك فقد حاول جذبنا إلى مساعدته ، أو بمعنى أدقّ إغراءنا بذلك ، فأخبرنا فى الرسالة أنه يحمل معه ملفًّا يحوى كل ما جمعته عنا المخابرات الشرقية ، ويقول إنه النسخة الوحيدة ، وإنه مستعد لتسليمنا إيَّاه ، لو أننا ساعدناه على الهرب من (بولندا) ، وإلَّا فسيعيده إلى المخابرات الشرقية .

هزَّ (أدهم) رأسه فى جذل ، وقال :

ـــ يبدو أن (فُون همْلن) هذا سيحوز إعجابى .. لقد خطَّط للأمر بمنتهى الدِّقة والبراعة ، حتى أننا لن نستطيع مقاومة هذا الإغراء .. ملفنا الكامل فى المخابرات الشرقية مقابل تهريبه .. أعتقد أنها صفقة رائعة يا سيِّدى .

ظهر القلق على وجه مدير المخابرات ، وهو يقول :

ـــ إنها صفقة رائعة ولا شك يا (ن ـــ ١) ، ولكن هناك عقبات ضخمة تعترض طريقها .. علاقتنا الحسنة بـ (بولندا) ، وكَمُّ المخاطرة المحيط بالأمر ، بالإضافة إلى أن (بولندا) دولة شبه محاصرة بالدول الشرقية ، التى تدين بالولاء للمخابرات السوفيتية ، فمن الجنوب (تشيكوسلوفاكيا) تليها (المجر) ، ومن الشرق (الاتحاد السوفيتى) نفسه ، ومن الغرب (ألمانيا الشرقية) .

اتسعت عينا (أدهم) جذلًا ، وهو يقول :

ـــ ما زال أمامنا الشمال يا سيِّدى .. فهناك البحر البلطى ، الذى يقودنا إلى (السويد) .

ابتسم مدير المخابرات ، وقال فى إعجاب :

ـــ هذا بالضبط ما قدَّره خبراؤنا يا (ن ـــ ١) ..

ثم تناول جوازى سفر من مكتبه ، قدَّمهما إلى (أدهم) قائلًا :

— أنت منذ هذه اللحظة (أسامة صلاح) ، مؤلف مصرى ، وستذهب فى رحلة سياحية إلى (وارسو) ، بصحبة زوجتك (ماجدة) ، التى لن تكون سوى النقيب (منى توفيق) .

وصمت لحظة عاد يقول بعدها :

— لن تكون مهمَّتك سهلة يا (ن — ١) .. ولابدَّ لك من أن تتحوَّل إلى ذئب ، حتى يمكنك تنفيذها .. حاول أن تنجح ..

نهض (أدهم) مبتسمًا فى هدوء ، ومدَّ يده يصافح مدير المخابرات ، قائلًا فى ثقة :

— سننجح بإذن الله يا سيِّدى .. سننجح .

* * *

تردَّدت الكلمة الأخيرة فى ذهن (أدهم) أكثر من مرة ، حتى شعر بالسَّيارة تتوقَّف ، وسمع صوت سائقها ، وهو يقول فى لهجة وَدُود :

— ها قد وصلنا إلى فندق (وارسو) يا سيِّدى .. منذ هذه اللحظة تبدأ رحلتك الممتعة فى (بولندا) .

ابتسمت (منى) فى سخرية ، وقالت وهى تختلس النظر إلى (أدهم) :

— نعم أيها السائق .. الآن يبدأ كل شىء .

* * *

٢ — قلب الخطر ..

لم يكد (أدهم) و (منى) ينتهيان من وضع حقيبتيهما بالفندق ، ويبدِّلان ثيابهما ، حتى هبطا إلى البهو ، وتقدَّم (أدهم) إلى موظف الاستقبال ، وسأله متظاهرًا بالارتباك ، شأن الرجل الذى يغادر وطنه للمرة الأولى :

— كيف يمكننى الوصول إلى قلب المدينة ؟.. أعنى .. هل يمكننى استئجار سيَّارة ؟ أو ....

قاطعه موظف الاستقبال فى برود ، قائلًا :

— المواصلات العامة متوافرة للغاية فى (وارسو) يا سيِّدى ، ويمكننى أن أرشدك إلى أيها يوصِّلك إلى غايتك ، ولكننى لا أنصح بالتجوال خارج الفندق بعد الثامنة مساءً ، فالاضطرابات العمالية تتزايد هذه الأيام .

سأله (أدهم) فى خبث :

— هل تعنى أن الأمن غير مستتبٌ هذه الأيام ؟

شحب وجه الرجل ، وتلفَّت حوله فى ذُعر ، وهو يقول بصوت أقرب إلى الهمس :

— إننى لَمْ أقل ذلك يا سيِّدى .. إننى لَمْ أشر إلى الأمن مطلقًا ..

تظاهر (أدهم) بعدم ملاحظته ما أصاب الرجل ، وقال وهو يغادر الفندق ، مصطحبًا (منى) :

— حسنًا أيها الرجل .. سنتبع نصيحتك ، ولن نبتعد كثيرًا .

وما أن غادرا الفندق ، حتى سألته (منى) فى دهشة :

— لِمَ سألته عن التوجُّه إلى قلب المدينة ؟.. أنت تعلم مثلى أن (فون هملن) يختبئ فى طرف المدينة بجوار .....

قاطعها (أدهم) فى صرامة قائلًا :

— احذرى النطق باسم الرجل مرة ثانية أيتها النقيب .. إن مجرد ذكر اسمه قد يقودنا إلى استجواب أسوأ مما كان يفعله الجستابو .

سألته فى دهشة :

ــ لماذا تبدو حذرًا إلى هذا الحدّ هذه المرة ؟

توقّف (أدهم) فجأة ، واستدار إليها ، وقال فى ضيق وحزم ، وبلهجة بطيئة قاسية :

ــ اسمعى أيتها النقيب .. إننا هنا فى دولة تحرص أشد الحرص على مراقبة كل أجنبى يضع قدمه على أرضها ، واعتباره جاسوسًا إلى أن يثبت العكس ، بسبب حالة الاضطراب ، التى تمرّ بها ، ولقد أُسنِدت إلينا مهمة تعدُّ غاية فى الخطورة ، فلابدَّ لنا من مقابلة رجل تبحث عنه مخابرات الجانب الشرقى من العالم ، ومحاولة تهريبه إلى دولة أخرى ، ولسنا نملك إلَّا مهاراتنا الشخصية .. لا أسلحة .. لا مسدسات .. ليس إلَّا تلك الكيماويات التى تختبئ فى أدوات (مكياجك) .. ولا تتصوَّرى أن مخابرات (ألمانيا الشرقية) ستتركنا نفعل ذلك فى هدوء .. إنهم لن يسمحوا بفقد هذا الملف الخطير .. وفى ظل كل هذه الظروف المعقَّدة لابدَّ لنا من المبالغة فى الحذر .. هل استوعبت الأمر أو أكرره مرة أخرى ؟

أومأت برأسها علامة الفهم فى مزيج من الخوف والغضب ، فاعتدل وعاد إلى سيره ، قائلًا فى هدوء مفاجئ :

ــ والآن هلمّى ، فسنختصر الوقت ، ونذهب إليه مباشرة .

* * *

قفز (ڤون هملن) من فراشه الصغير ، وانتزع مسدَّسه الضخم من تحت الوسادة فى توتُّر واضح ، حينما سمع صوت ثلاث طرقات هادئة على باب الحجرة الصغيرة ، التى استأجرها فى حىٍّ من أحياء (وارسو) البعيدة عن قلب المدينة ، واقترب فى قلق من الباب ، وهو يقول فى صوت أجش غليظ :

ــ من بالباب ؟

جاءته الإجابة باللغة الألمانية السليمة :

ــ أنا (رمسيس) .. لقد وصلت توًّا بحسب الخُطَّة (هرم) .

تنهَّد (ڤون هملن) فى ارتياح ، وفتح الباب وهو يختبئ خلفه فى حذر ، دفعه إلى تصويب مسدسه إلى (أدهم) و (منى) ، حينما دخلا إلى الغرفة الصغيرة ، حتى أن (أدهم) ابتسم فى سخرية قائلًا :

ــ أعِدْ مسدسك إلى غمده يا هر (هملن) .. إننا لا ننوى قتلك .

أغلق (ڤون هملن) باب الحجرة ، وأعاد مسدسه الضخم إلى الجراب المعلَّق تحت إبطه الأيسر ، وهو يتفرَّس ملامح (أدهم) و (منى) فترة طويلة ، قبل أن يقول :

ــ هل تأكَّدتما أن أحدًا لا يتبعكما ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال فى هدوء :

ــ هل نسيت أننا أيضًا محترفون يا هِرّ (هملن) ؟

اقترب (ڤون هملن) من (أدهم) ، وقال وهو ينظر فى عينيه :

ــ حتى المحترفين يصيبهم الخطأ أيها المصرى .

أشاح (أدهم) بذراعه فى لامبالاة ، وقال :

ــ دَعْنا من هذه السخافات يا (هملن) .. هل معك الأوراق ؟

ابتسم (ڤون هملن) ابتسامة خبيثة ، وهو يقول :

ــ سؤالك هذا هو السخافة بعينها أيها المصرى .. إنكم لن تحصلوا على الملف ، قبل أن أصل إلى القاهرة .

نظرت إليه (منى) فى ضيق ، ولكنها لاذت بالصمت ، على حين ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال وهو يجلس فى لامبالاة فوق طرف الفراش :

ــ إننا لن نخاطر بتهريبك ، وتحدّى جهاز المخابرات الشرقى بأكمله ، لمجرد قول منك يا (هملن) .. لابدّ لى من التأكُّد من وجود الملف أولًا .

زمجر (هملن) ، وهو يقول فى إصرار عجيب :

ــ أنا لست غبيًّا أيها المصرى .. لابدَّ أن أصل أولًا إلى القاهرة ، ولن أعطيكم أيّة ضمانات .. بل سأسلِّم هذا الملف إلى (الموساد) لو أنكم رفضتم .

هبَّ (أدهم) واقفًا ، وقال فى غضب :

— هل تهدّدنا أيها الوقح ؟

ضرب (هملن) الأرض بقدمه فى غضب ، وقال :

— لك أن تتصوّر ما يحلو لك أيها المصرى .. هذه كلمتى الأخيرة .

التقت نظراتهما فى تحدّ وعناد وإصرار ، وكاد الأمر ينقلب إلى معركة ، لولا أن استعاد (أدهم) هدوءه ، فعقد ساعديه ، وقال :

— إنك لا تتصوّر أن نفعل كل هذا دون دليل يا (هملن) .

ابتسم (ڤون هملن) ، وقال فى هدوء مماثل :

— وأنت لا تتصوّر أن أخاطر بإلقاء نفسى بين أيديكم ، وفى عاصمتكم وأنا أخدعكم .

صمت (أدهم) فترة ، ساد فيها الصمت التام فى الغرفة ، ثم ابتسم وقال :

— أنت على حق .. سأقبل المخاطرة .

مدّ (ڤون هملن) كفّه الكبيرة نحو (أدهم) ، وهو يقول :

— معذرة لاستقبالى الحادّ .

صافحه (أدهم) ، وهو يقول :

— لا عليك .. إن الأعصاب الملتهبة المتوتّرة ، تفعل أكثر من ذلك .

استدار (ڤون هملن) إلى (منى) ، فحياها بإيماءة من رأسه ، وهو يقول :

— مرحبًا يا سيّدتى .. لقد ألهانا الشّجار .

فتحت (منى) فمها لتنطق بعبارة مجاملة ، ولكنها لَمْ تجد الفرصة لذلك .. إذ تصاعد صوت طرقات قوية على باب الحجرة ، فصاح (ڤون هملن) فى جزع :

— أيها الغبيّان .. لقد تبعوكما إلى هنا .

قال (أدهم) فى إصرار :

— إن أحدًا لم يتبعنا ..

وفى هذه اللحظة تعالى صوت ألمانى ، تشوبه اللّكنة الروسية يقول :

— افتح الباب يا (ڤون هملن) .. لقد وقعت فى أيدينا .. لا تحاول الهرب ، فالفندق محاصر من كل الاتجاهات .

شحب وجه (منى) ، واربدّ وجه (ڤون هملن) ، على حين ابتسم (أدهم صبرى) فى سخرية ، وهو يقول فى هدوء :

— يبدو أننا لن نحتاج إلى التأكّد من وجود الملف يا هِرْ (هملن) .. فقد انتهت مهمتنا قبل أن تبدأ .

* * *



٣ ـ الفأر القاتل ..

جذب (ڤون هملن) إبرة الأمان بمسدسه ، وسأل فى توتُّر :

— ماذا نفعل ؟.. هل نستسلم ؟

مطّ (أدهم) شفتيه ، وقال فى هدوء :

— يا لها من فكرة سخيفة !!

عاد صوت الطرقات بصورة أعنف ، وارتفع الصوت الألمانى الروسى ، يقول فى لهجة شديدة ، لا تقبل الشك :

— سنعدّ حتى ثلاثة ، ثم نطلق النار من كل الاتجاهات يا (ڤون هملن) .

وفجأة .. ولدهشة (هملن) و (منى) ، ارتفع صوت (أدهم) عاليًا بلغة ألمانية سليمة ، ولكنة شرقية واضحة ، يقول :

— بسأستسلم يا سيّدى .. ولكننى لست (ڤون هملن) هذا .

ثم التفت إلى (هملن) وسأله :

ــ أى اسم انتحلته لاستئجار هذه الغرفة ؟

أجاب (هملن) الذى لم تتلاشى دهشته بعد :

ــ (هانز فريدريش) .

أشار (أدهم) إلى صوان متوسط الحجم فى ركن الغرفة ، وقال فى عجلة وهو يخلع معطفه :

ــ هيًا بسرعة .. اختبئا هناك .

أسرع (هملن) و (منى) لإطاعة الأمر ، وقال الأول فى توتُّر ، وبصوت هامس :

ــ ليست هناك فرصة .. سيقتلونك .

هزَّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وابتسم فى سخرية ، ثم أسرع يرسم على وجهه علامات خوف مفتعل ، وهو يفتح باب الغرفة .

* * *

كان أول ما طالع (أدهم) ، وجه يشبه (وجه الفأر) ، نحيل طويل ، وأسنان أمامية كبيرة بارزة ، وأذنان

كبيرتان ، وعينان زرقاوان ، وشعر أشقر ناعم ، ومن خلفه ظهَرَ أربعة رجال مسلَّحين بالمدافع الرشاشة ، وكان (وجه الفأر) يحمل مسدَّسًا ضخمًا من نوع (الموريس)، ذى الساقية الدوَّارة ، واتسعت عيناه فى دهشة صادقة ، وهو يحدِّق فى وجه (أدهم) ، قبل أن يغمغم فى غضب :

ــ من أنت ؟.. أنت لست (ڤون هملن) !!

قال (أدهم) فى صوت حرَص على أن يخرجه من بين شفتيه مرتعدًا خائفًا :

ــ هذا ما قلته يا هرْ .. أنا لست (ڤون هملن) .

جذب (وجه الفأر) (أدهم) من معطفه فى قسوة ، وقال :

ــ أين هو ؟.. أين اختفى ؟

أشار (أدهم) إلى الصوَّان ، وقال هامسًا :

ــ إنه يختبئ هناك يا هرْ ..

نظر (وجه الفأر) إلى الصوَّان فى شكٍّ وحذر ، ثم مرَّ بيديه على جسد (أدهم) فى سرعة وخبرة ، وتأكد من أنه لا يحمل سلاحًا ، ثم همس فى زمجرة خافتة :

ــ لا أظنه بهذا الغباء .

همس (أدهم) متظاهرًا بالخوف والخضوع :

ــ أقسم لك أنه هنا يا هرْ .. هل تتصوَّر أن أكذب عليك ، وأنا بين يدى رجالك ؟

قطَّب (وجه الفأر) حاجبيه ، ودفع (أدهم) جانبًا ، ثم استدار نحو الصوَّان ، وصوَّب رجاله مدافعهم الرَّشاشة إليه ، على حين ارتفع صوته قائلًا :

ــ لقد انكشف أمرك يا (ڤون هملن) .. اخرج من هذا الصوَّان ، أو أحوِّلك وإيَّاه إلى مصفاة .

ولكنه ارتجف حينما سمع صوت (أدهم) الساخر يقول :

ــ هل صدَّقت هذا يا (وجه الفأر) الغبىّ ؟

* * *

استدار (وجه الفأر) فى غضب ، لم يلبث أن تحوَّل إلى ذهول ، حينما وقع بصره على (أدهم) ، وهو يعمل فى سرعته ومبادرته المعهودة المذهلة ...

من العجيب فيما يخص (أدهم صبرى) ، أنه قادر على السيطرة على أطرافه الأربعة فى آن واحد ، وتحريكها فى تناسق عجيب ، بحيث يساوى وحده أربعة رجال أشدَّاء .. ففى الثانية الأولى لتحرُّكه ارتفعت قدماه ، لتركلا مدفعين رشاشين ، فى نفس اللحظة التى تحرَّكت فيها قبضتاه ، فهشَّمت اليمنى فكَّ أحد الرجال الأربعة ، وحطَّمت اليسرى أنف الثانى ، ولكنه ما كاد يهبط على قدميه ، حتى التوت قدمه اليسرى تحت ثقله ، إذ كان قد نسى فى غمرة حماسه أنها مصابة برصاصة منذ أمد قريب ، ولقد شعر هو بالآلام المبرحة ، ولكن الآخرين لم يلاحظوا ذلك ، إذ عادت قبضتاه تتحرَّكان لتهبطا على أنف الرجل الثالث ، وعنق الرابع .. وحينما تحامل على ساقه المصابة ، واستعاد توازنه ، كان الرجال الأربعة قد فقدوا الوعى ، ولم يبق أمامه سوى (وجه الفأر) .. وتغلَّب هذا الأخير على ذهوله بسرعة ، ورفع مسدسه الضخم فى وجه (أدهم) ، ولكنه تلقَّى ضربة قوية من حافة يد (أدهم) ، طار لها المسدس بعيدًا ،

وقبل أن يفتح فمه فى طلب النجدة ، تحطَّم أنفه الطويل ، إثر لكمة ساحقة ، ألقت به فى غيبوبة طويلة ..

وقبل أن يستقر جسد (وجه الفأر) على أرضية الغرفة ، كان (أدهم) قد قفز نحو الصِّوان ، وفتحه قائلًا :

ــ هيَّا بنا .. لابُدَّ من مغادرة المكان بأقصى سرعة ممكنة .

خرج (ڤون هملن) من الصِّوان فى ذهول ، وهو يحدِّق فى الأجساد المبعثرة على أرض الغرفة ، وكانت (منى) تقفز خارجة ، حينما سمعته يغمغم مذهولًا :

ــ أفعلت كل هذا دون سلاح ؟!

قال (أدهم) ، وهو يتحرَّك فى سرعة :

ــ فلنؤجل هذا الحديث إلى ما بعد يا (هملن) ، أمَّا الآن فأسرع إلى أعلى المنزل .. هذه هى فرصتنا الوحيدة .

تبعه (ڤون هملن) ، وتبعته (منى) عَدْوًا إلى أعلى السُّلَّم ، على حين قال (هملن) :

ــ ربما كانوا يضعون حراسة مكثَّفة فوق السطوح .

توقَّف (أدهم) أمام الباب المفضى إلى السطح ، وأخذ يعالجه فى سرعة ومهارة وهو يقول :

ــ كلَّا يا (هملن) .. إنهم لن يفعلوا هذا ، فلن يتصوَّروا مطلقًا أن تنجح فى التغلُّب على خمسة رجال مسلَّحين .. ربَّما وضعوا هذه الحراسة فى الخارج ، خشية أن تلجأ للفرار من النافذة .

ومع آخر كلماته انفتح القفل ، واندفع الثلاثة إلى السطح ، وأشار (أدهم) إلى سطح المنزل المجاور قائلًا :

ــ سنقفز عَبْرَ الأسطح إلى الشارع الخلفى ، ثم نسرع بالهرب .

ودون تردُّد ، أسرع (هملن) إلى حافة السطح ، وقفز قفزة عَبْرَ بها الأمتار الثلاثة التى تفصل سطح المنزل عن المنزل المقابل ، ليستقر فى رشاقة على السطح المقابل ،

وتبعته (منى) ، ثم (أدهم) ، الذى شعر بألم شديد حينما استقر فوق السطح ، بسبب ساقه المصابة ، ولكنه واصل مع رفيقيه القفز من منزل إلى آخر ، حتى ابتعدوا بالقدر الكافى ، فجلست (منى) على حافة السطح الأخير تلهث ، على حين غمغم (ڤون هملن) :

ــ كيف توصَّلوا إلينا يا تُرى ؟

قال (أدهم) :

ــ إنهم لم يتْبعونا بالتأكيد ، وإلَّا كنت قد لاحظت ذلك ، ثم إنه ما من سبب يدعوهم للشك فينا .. ربَّما قادتهم تحرِّياتهم إليك !

مطَّ (هملن) شفتيه ، وقال :

ــ لن يدهشنى ذلك ، فأنا أعلم كيف أن (فولف جانج) هذا شيطان قاتل .

سأله (أدهم) :

ــ مَن (فولف جانج) هذا ؟

قال (هاملن) فى هدوء :

ــ إنه ذلك الرجل الذى يحمل (وجه الفأر) .. إنه زميل سابق فى مخابرات (ألمانيا الشرقية) ، وكنا نطلق عليه هناك اسم (الهامستر) ، وهو حيوان شبيه بالفأر ، ينتشر وجوده فى غابات (ألمانيا) ، ويسعد الأطفال بتربيته كحيوان أليف ، وهذا يخالف طبيعة (فولف) تمامًا ، فهو من أشرس وأقسى من عرفت فى حياتى كلها .. إنه يعذِّب خصومه دون أن يطرف له رمش .

قال (أدهم) فى سخرية :

ــ ألَا يذكِّرك هذا بماضيك فى الجستابو ؟

صمت (هملن) لحظة ، ثم قال فى برود ، متجاهلًا عبارة (أدهم) :

ــ والآن ماذا نفعل ؟

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ــ لست أدرى .. ربما كان علينا أن نفكِّر معًا فى خطَّة مناسبة .

ضاقت عينا (هملن) وهو يقول :

— عليك أن تسرع فى التفكير إذن ، فإن (فولف جانج) لن يهدأ قبل أن ينشب فينا مخالبه ، ويمزقنا إربًا .. لقد أصبحنا مطاردين من (وجه الفأر) القاتل أيها المصرى .

* * *



٤ — مطاردة الموت ..

زمجر (فولف جانج) فى مزيج من الألم والغضب ، حينما أخذ طبيب الشُرطة البولندية يضمِّد جروحه ، ونظر إليه مدير الشُرطة فى ضيق ، وقال :

— سبق أن طلبت منك أن تترك هذه المهمة لنا يا هِرّ (فولف) .

زوَى (فولف) ما بين حاجبيه ، وقال :

— إن كبار دولتنا قد اتفقوا على أن نتولَّى نحن الأمر يا (كالسكى) .

زفر (كالسكى) فى حنق ، وقال وهو يشيح بوجهه بعيدًا ، مداريًا ما يبدو عليه من غضب واشمئزاز :

— ولكنك لا تعرف ظروف وأساليب دولتنا ، كما نعرفها يا هِرّ (فولف) .

مطَّ (فولف) شفتيه فى غطرسة ، وهو يقول :

— من قال هذا ؟ .. هل نسيت أننى المكلَّف بشئون (بولندا) فى مخابراتنا يا (كالسكى) .

قال (كالسكى) :

— لَمْ أنسَ ذلك يا هِرّ ...

وضغط بقسوة على حروف كلمة (هِرّ) ، علّ (فولف) ينتبه إلى أنه يخاطبه باسمه مجردًا منذ البداية ، ثم استطرد :

— ولكن (ڤون هملن) ....

قاطعه (فولف) فى غضب :

— لقد هرب (ڤون هملن) بمساعدة ألمانى آخر ، يتحرَّك كالشيطان فى سرعته ومهارته .. ولا تنسَ أنه تغلَّب وحده ودون سلاح على أربعة من أشد رجالك ، كانوا يحملون المدافع الرشاشة .

شعر (كالسكى) بالحرج ، حتى أنه لم يجد ما يقوله ، على حين استطرد (فولف) فى لهجة أصبغ عليها الأهمية :

— ثم إننى أعلم إلى أين سيتوجَّه (ڤون هملن) ،

فلا ريب أنَّ هذا الشيطان الذى يساعده من مخابرات (ألمانيا الغربية) .

سأله (كالسكى) فى دهشة :

— ولكنك قلت إن لهجته كانت تحمل بعض الروسية و ....

قاطعه (فولف) فى غضب :

— إن المخابرات الروسية لن تعمل ضد أصدقائها ورجالها الشرقيين .

ازدرد (كالسكى) لعابه ، وقال فى صوت أقرب إلى الهمس :

— بالطبع يا هِرّ (فولف) .. بالطبع .. ولكن أين تتوقَّع أن يذهب (ڤون هملن) ، بمساعدة هذا الألمانى الغربى ؟

ابتسم (فولف) فى خبث وشراسة ، وهو يخرج من جيب معطفه خريطة ضخمة تمثِّل (بولندا) ، فردها أمامه فوق المكتب ، وأشار بأصابعه قائلًا :

— إن (ڤون هملن) ، كان يختبئ هنا فى (وارسو) ، كما علمنا من تحرّياتنا عن المستأجرين ، ولقد علم الآن أن أمره قد كُشِف ، كيف يتصرّف بعد ذلك ؟

هزّ (كالسكى) كتفيه دلالة على عدم المعرفة ، فاستطرد (فولف) فى ثقة :

— سيعلم جيّدًا أن بقاءه فى (وارسو) قد أصبح مستحيلًا ؛ ولذا فسيعمد هو ومساعده إلى الفرار خارج المدينة .. ولكن إلى أين ؟.. لو أننى مكانه لن أحاول الاتجاه إلى (بياوستوك) فى الشرق مثلًا ، وإلّا كان علىَّ العبور إلى (الاتحاد السوفيتى) ، حيث سيعتقلوننى حتمًا ، ولا إلى (كراكو) فى الجنوب بقرب (تشيكوسلوفاكيا) ، ولا (بوزنان) على حدود (ألمانيا الديمقراطية) ، فكل هذه البلاد على علاقة وثيقة (ببولندا) ، والأخيرة منها هى البلد التى هرب فيها بالفعل .

وابتسم فى مزيج من الثقة والغطرسة الألمانية ، وهو يردف :

— ليس أمامه إذن إلّا (جدانسك) على البحر البلطى ، حيث يمكنه الفرار بعد سرقة زورق أو قارب بخارى ، وبمجرد عبوره المياه الإقليمية لن يمكننا إيقافه .

حرّك (كالسكى) رأسه قائلًا :

— يا إلهى !! هذا صحيح .. إن استنتاجك رائع يا هِرْ (فولف) .. وماذا علينا أن نفعل إذن ؟..

ابتسم (فولف) ، ووضع سبّابته على الخريطة قائلًا :

— نشدّد الحراسة على (جدانسك) يا هِرْ (كالسكى) .

* * *

تألّقت عينا (ڤون هملن) ، وهو ينظر إلى (أدهم) قائلًا :

— خطّة رائعة أيها المصرى .. نعم .. إن (جدانسك) هى أفضل الأماكن .

قال (أدهم) فى هدوء :

— ليس (جدانسك) نفسها على وجه الدّقة يا (هملن) ، ولكن على بعد ثلاثة كيلومترات إلى غربيها .

زوَى (هملن) ما بين حاجبيه ، وقال :

— ثلاثة كيلومترات إلى غربيها ؟!!

اتسعت عيناه فجأة فى دهشته ، وهو يقول محدّقًا فى وجه (أدهم) :

— يا للشيطان !! هل تقصد قاعدة حلف (وارسو) العسكرية ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يومئ برأسه قائلًا :

— بالضبط يا (هملن) .. إننا نحتاج إلى زورق قوى للهرب .. أليس كذلك ؟

قالت (منى) فى حدّة :

— يمكننا أن نحصل عليه دون أن نضطر إلى مواجهة قاعدة عسكرية بأكملها يا سيادة العقيد .

ابتسم (أدهم) فى خبث ، وقال :

— ومن قال إننا سنواجه القاعدة ؟.. سيمنحوننا هم الزورق بأنفسهم .

سأله (هملن) فى دهشة :

— وكيف ستوصَّل إلى هذا ؟

ضحك (أدهم) وقال :

— سأخبرك بذلك فى الطريق يا عزيزى (هملن) .. المهم الآن كيف نصل إلى (جدانسك) ؟

قال (هملن) فى حماس :

— يمكننى أن أوفر سيّارة خاصة .

وقالت (منى) :

— أعتقد أنه من الأفضل أن نستقل حافلة عامة ، لئلّا نثير الشكوك .

قال (أدهم) فى سخرية :

— أيّة شكوك يا عزيزتى ؟.. ألا تحملين حقيبة أدوات مكياجك ؟

قالت فى تساؤل :

— بلَى ، ولكن فيمَ تفيدنا ؟

ابتسم وهو يقول :

ـ سيفيدنا فى أن نستقل سيارة خاصة ، وننطلق إلى (جدانسك) يا عزيزتى .. وهناك يبدأ الجزء الصعب من الخطة .

* * *



٥ ـ الطريق إلى النيران ..

ضغط (أدهم صبرى) على دوَّاسة الوقود فى السيارة الصغيرة ، دون أن يهتم بالنظر إلى عدَّاد السرعة ، الذى أشار إلى تجاوزها المائة والعشرين كيلومترًا ، على حين اختلس (ڤون همِلن) النظر إلى مرآة السيارة ، وهو يتحسَّس القناع المطَّاطىّ الرقيق للغاية ، الذى يغطِّى وجهه ، ثم غمغم فى صوت تخالطه الدهشة :

ـ عجبًا !! أكاد لا أعرف نفسى فى هذه الملامح .

ثم استدار يتطلع إلى (أدهم) ، مستطردًا فى إعجاب :

ـ أنت عبقرى فى تبديل الملامح البشرية أيها المصرى .

ابتسمت (منى) التى تجلس على المقعد الخلفى ، وقالت فى هدوء :

ـ هذا جزء ضئيل من قدراته يا هرّ (همِلن) .

التفت (ڤون همِلن) إلى (أدهم) ، وأخذ يتفرَّس ملامحه فى ضوء السيارة الخافت ، ولم يلبث أن قال :

ـ عجبًا .. إن ملفات المخابرات الألمانية كانت تضم صورة ووصفًا لضابط مخابرات مصرى ، يمتلك هذه القدرات غير المألوفة ، ولكنه لقى حتفه ، ولولا ذلك لظننت ....

ابتسم (أدهم) ، وسأله متجاهلًا حديثه :

ـ هل مسدسك محشُوٌّ بالرَّصاص يا (همِلن) ؟

تحسَّس (همِلن) مسدسه المختفى تحت معطفه ، وقال :

ـ نعم .. إنه مستعد للإطلاق فى أيَّة لحظة .

غمغمت (منى) فى قلق :

ـ آمل ألا تدفعنا الظروف إلى ذلك .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وقال :

ـ إنه السلاح الوحيد الذى نمتلكه يا عزيزتى .

ضحك (ڤون همِلن) ، وقال فى سخرية :

ـ وهل ستحارب حلف (وارسو) بمسدس واحد ؟

ضحك (أدهم) دون أن يجيب ، ثم تجهَّمت ملامحه

فجأة ، وهو يشير أمامه قائلًا :

ـ هناك الكثير من الأضواء على بعد خمسة كيلومترات .. أعتقد أنها نقطة مراقبة .

حدَّق (ڤون همِلن) و (منى) فى الأضواء التى تقترب منها السيارة ، وقال (همِلن) :

ـ خفِّف من سرعتك أيها المصرى .. لعلها نوبة مراقبة الطريق .

رفع (أدهم) قدمه عن دوَّاسة الوقود ، وضغط بها على الفرامل وهو يقول :

ـ لست أدرى لِمَ أشعر بالخطر .

وفجأة لاحت لهم الدورية .. كان هناك عدد كبير من رجال الشُّرطة العسكرية بمدافعهم الرشاشة ، وعدد من الضباط ، وهم يغلقون الطريق بحائل خشبىّ رفيع ، تتعلَّق عليه الأضواء الملوَّنة ، وزوى (أدهم) ما بين حاجبيه ، على حين غمغم (ڤون همِلن) :

ـ قِفْ فى هدوء ، فقد فات أوان التراجع ، وليس من المفضَّل أن نثير شكوكهم .

أوقف (أدهم) السيارة بهدوء ، وهو يحاول تبيُّن ملامح رجال الدورية ، عَبْرَ الضوء المبهر الذى يضىء نحوه دون فائدة ، ولكنه لمح أحدهم ينفصل عن الباقين ، ويتبعه جنديَّان يحملان المدافع الرشاشة ، ثم رآه يقترب من السيارة ، وينحنى لينظر داخلها قائلًا :

ـ أوراقك من فضلك .

كان (أدهم) قد استعد لمثل هذا الموقف ، واستخرج أوراقًا مزيَّفة ، ولكنه لَمْ يقدمها إلى الرجل ، فلقد اتسعت عينا (ڤون هملن) دهشة ، على مسمع صوته ، وشهقت (منى) شهقة خافتة من المقعد الخلفى ، وابتسم (أدهم) فى سخرية ، فقد طالعه وجه الرجل الذى يشبه ملامح الفأر ، ولم يكن (أدهم) قد غيَّر ملامحه ؛ لذا فقد تراجع (فولف جانج) فى دهشة ، وصاح :

ـ يا للشيطان !! أهم أنتم ؟

* * *

لو أن بطلًا من أبطال سباقات السيارات ، شاهد

ما فعله (أدهم) فى هذه اللحظة ، لشهق إعجابًا ، والتهبت كفَّاه تصفيقًا ، ولَوَدَّ من كلِّ قلبه أن يعانق (أدهم) ، ويشدَّ على يده مهنِّئًا ، إذ أنه قد تحرَّك فى سرعة البرق ، مُجْبِرًا محرِّك السيارة على الإستجابة والطاعة ، حينما حرَّك عصا السرعة إلى الوضع الرابع ، ثم ضغطت قدماه على دوَّاستى الكبح والوقود ، ورفع قدمه اليسرى ، لتنطلق السيارة الصغيرة فى صرير مزعج ، وشكل مخيف ، أثار ذهول رجال الشُّرطة ، حيث تراجع (فولف جانج) فى حدَّة ، ورفع البعض فوَّهات مدافعهم الرشاشة ، ولكن سيارة (أدهم) اندفعت نحو الحائل الخشبىّ ، وصاح هو بزميلته ومرافقه :

ـ اخفضا رأسيكما ..

وفى جرأة مذهلة وهدوء خرافى ، ارتطم بالحائل محطِّمًا إيَّاه ، ومتجاوزًا له فى سرعة ومهارة ، فى الطريق الأسفلتى العريض ..

صرخ (فولف) فى غيظ :

ـ أطلقوا النار .. اقتلوهم جميعًا .

وقبل أن يتم عبارته ، كانت المدافع الرشاشة تنطلق فى سيمفونية مرعبة مزعجة خلف السيارة الصغيرة ، التى تحطَّم زجاجها الخلفى ، ومرقت أكثر من رصاصة بجوار أذنى (أدهم) فى صفير مخيف .. ولكن (أدهم صبرى) صاحب الأعصاب الفولاذية لَمْ يهتزَّ له رمش ، واكتفى بابتسامة ساخرة ، وهو ينطلق بالسيارة فى مهارة رائعة مغمغمًا :

ـ معذرة يا (وجه الفأر) .. ليس لدىَّ وقت للتوقُّف .

وهمس (ڤون هملن) فى دهشة ، محدِّثًا (منى) :

ـ أخبرينى أيتها المصرية .. أزميلك مجنون ، أم أنه خُلِقَ دون أعصاب على الإطلاق ؟

ابتسمت (منى) ، واختلست نظرة إعجاب إلى (أدهم) ، وهى تجيب :

ـ لا هذا ولا ذاك يا هِرْ (هملن) .. كل ما فى الأمر أنه ضابط مخابرات يحبُّ وطنه مصر .

وفى تلك اللحظة صاح (فولف) فى رجاله :

ـ أسرعوا خلفهم .. لا تسمحوا لهم بالإفلات .

وقفز داخل سيارة اندفعت به خلف سيارة (أدهم) ، وانطلقت خلفه مجموعة من الدرَّاجات البخارية فى مطاردة مستميتة ...

ونهض (ڤون هملن) ، وقبض على مسدسه فى توتُّر قائلًا :

ـ لقد انهارت خُطَّة الهرب .. ماذا سنفعل الآن ؟

نظر (أدهم) إلى مرآة السيارة ، وشاهد الدرَّاجات البخارية التى تطاردهم ، وسيارة (فولف جانج) ، ثم قال لـ (ڤون هملن) :

ـ هل لديك خريطة لطرق (بولندا) ؟

مدَّ (ڤون هملن) يده إلى جيب معطفه الداخلى ، وأخرج خريطة مطويَّة ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. إنها أحدث خريطة للبلاد .

قال (أدهم) وهو يضغط دوّاسة الوقود ، مجبرًا السيارة الصغيرة على الإنطلاق بسرعة تتجاوز قدراتها :

ــ ألق نظرة سريعة وأخبرنى .. هل هناك طرق فرعية إلى (جدانسك) ؟.

فرد (فون هملن) الخريطة ، وفحصها فى لهفة وقلق ، ثم قال :

ــ هناك طريق واحد ، ولكنه مغلق بسبب انهيار الجسر الذى يتوسطه ..

تألقت عينا (أدهم) وهو يسأله :

ــ هل تعلم كم يبلغ طول هذا الجسر المنهار ؟

حكّ (فون هملن) أنفه فى توتُّر ، وقال :

ــ حوالى خمسة أمتار .. إنه جسر قديم و ....

قاطعه (أدهم) فى عجلة :

ــ كم يبعد عنا هذا الطريق ؟

قال (فون هملن) ، وهو يلقى نظرة على علامات الطريق :

ــ حوالى عشرة كيلومترات .

ابتسم (أدهم) ، وقال :

ــ حسنًا يا هِرْ (هملن) .. أعتقد أننا سننجو .

سأله (هملن) فى دهشة :

ــ كيف ؟.

ابتسمت (منى) فى توتُّر ، وهى تجيب :

ــ ألمْ تفهم بعد يا هِرْ (هملن) ؟.. إن سيادة العقيد ينوى اجتياز هذا الجسر المحطَّم ..

وفى تلك اللحظة ، كان (فولف جانج) يصرخ فى قائد سيارته :

ــ أسرع أيها الرجل .. لا تدعهم يفلتون .

قال قائد السيارة فى قلق :

ــ إننى أنطلق بالسرعة القصوى يا سيِّدى ، لو حاولت الإسراع ، فسيقفز المحرِّك من السيارة معترضًا .

عضَّ (فولف) شفتيه غيظًا ، وقال فى غضب :

ــ وهؤلاء الجنود الحمقى على الدرَّاجات البخارية .. لِمَ لا يطلقون النار ؟

أجابه السائق فى تردُّد :

ــ لأننا ننطلق أمامهم يا سيِّدى .

غمغم (فولف) فى حنق :

ــ يا للَّعنة !!

وفى تلك اللحظة ، انحرف (أدهم) بسيارته فى حِدَّة داخل الطريق الفرعىّ ، فصرخ (فولف) :

ــ إنه يحاول الهرب .. أسرع خلفه أيها السائق .

أطاع السائق الأمر ، وهو يقول فى قلق :

ــ ولكن هذا الطريق مغلق ، بسبب جسر منهار على بعد عشرة كيلومترات يا سيِّدى .

تألقت عينا (فولف) فى شراسة ، وهو يقول :

ــ ماذا تقول ؟!.. هل تعنى أن سيارتهم تنطلق نحو هاوية وهم لا يدرون ؟

قال السائق وقد ازداد توتُّره :

ــ لابدّ من ذلك يا سيِّدى ، فهم فى سرعة عظيمة ، ولن يمكنهم التوقُّف ، والهاوية يبلغ عمقها كيلومترًا كاملًا .

قال (فولف) فى مكر :

ــ حسنًا أيها السائق .. خفِّف من سرعتك ، ولكن لا تدَعْهم يلحظون ذلك .

ثم قهقه ضاحكًا فى وحشية ، قبل أن يستطرد :

ــ دَعْهم يندفعون نحو هاوية الموت .

* * *

زاد (أدهم) من سرعة السيارة ، حتى كاد المحرِّك يحترق ، وصاح (فون هملن) :

ــ لن يمكنك عبور الهاوية .. لن تحتمل السيارة .

قالت (منى) ، وقد بلغ توتُّرها مبلغه :

ــ لا تحاول يا هِرْ (هملن) .. إنه لن يتراجع .

لمح (فون هملن) بداية الجسر المحطَّم على ضوء السيارة ، فصرخ وهو يتشبَّث بمقعده :

ــ لا .. لا تقْدِم على هذه الحماقة أيها المصرى .. توَقَّف .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وتعلَّقت عيناه بالجسر المحطَّم ، وهو يزيد من ضغطه على دوَّاسة الوقود ، قائلًا فى هدوء مذهل :

ــ لقد سبق السيف العزل يا هِرْ (هملن) .. احبس أنفاسك ، وتشبَّث بمقعدك .

لم يكن (أدهم) فى حاجة إلى قول هذه النصيحة ، فقد تشبَّث (ڤون هملن) ، وتشبَّثت (منى) بمقعديهما ، واحتبست أنفاسهما بالفعل ، عندما اندفعت السيارة الصغيرة مجتازة الطرف المحطَّم ، سابحة فى الهواء فوق هُوَّة يبلغ عمقها كيلومترًا كاملًا .



٦ ــ القفز فوق الخطر ..

أوقف سائق (فولف جانج) سيارته فى قوَّة وحدَّة ، وتدلَّت فكّه السُّفلى فى بلاهة ، واتسعت عيناه وعينا (فولف) ذهولًا ، حينما شقَّت سيارة (أدهم) طريقها نحو الجانب الآخر من الهُوَّة السحيقة ، وتوقَّفت الدرَّاجات البخارية كلها ، وتعلَّقت عيون قوَّادها بالسيارة الصغيرة ، التى هبطت على الجانب الآخر ، وارتطمت به فى قوة حطَّمت محورها ، وقسمتها نصفين ، زَحَفَا أرضًا مسافة تتعدَّى الأمتار الخمسة قبل أن يتوقَّفا ، وغطَّت (منى) وجهها بكفَّيها ، وأجهشت بالبكاء ، على حين خرج (ڤون هملن) ، ووقف يتطلَّع إلى السيارة فى ذهول ، وقفز (أدهم) فى رشاقة ، وعاون (منى) على الخروج قائلًا فى دُعابة :

ــ ها قد عبَرْنا الهُوَّة يا هِرْ (هملن) .

انفجرت (منى) صارخة :

ــ وفقدنا وسيلة المواصلات التى نمتلكها .. كيف نصل إلى هدفنا إذن ؟

نظر إليها (أدهم) نظرة عجيبة أدهشتها ، ثم فوجئت به يندفع نحوها، ويدفعها أرضًا، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها رصاصات رجال الشُّرطة البولندية من الجانب الآخر .

وأفاق (ڤون هملن) من ذهوله ، وبدأ يبادلهم إطلاق النار ، فصاح به (أدهم) :

ــ ادَّخر ذخيرتك يا (هملن) ، وهيَّا بنا نسرع بالابتعاد عن هنا .

وجذب (منى) من معصمها ، ثم اندفع يعدُو وهو يجرّها خلفه ، مبتعدًا عن الهُوَّة ، وعن رصاصات البولنديين التى انهمرت كالمطر ، وحين دفع (منى) خلف أكمة من الأشجار المتشابكة ، سمع صوت آهة مكتومة من (هملن) ، فاستدار إليه صائحًا :

ــ ماذا حدث يا (هملن)؟

أجابه (ڤون هملن) ، وهو يسرع نحوه ممسكًا ساقه :

ــ لقد أصابنى هؤلاء الأوغاد ..

زوَى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وقال :

ــ تحامل حتى نختفى وسط هذه الغابة ، وبعدها فليكن ما يكون .

وعلى الجانب الآخر صرخ (فولف) فى الرجال :

ــ سيحاولون الاختفاء وسط الغابة .. أسرعوا بطلب زملائكم على الجانب الآخر .. اطلبوا منهم محاصرة الغابة .. هيَّا .. بسرعة .

* * *

انهمكت (منى) فى محاولة إيقاف النزيف المنهمر من ساق (ڤون هملن) المصابة ، ولم تلبث أن شعرت ببوادر النجاح ، فأخذت تُحْكِمُ الرباط حول الجرح ، على حين ضغط (هملن) على أسنانه ، خشية أن تفلت آهات الألم من بين شفتيه .. وعلى بعد أمتار قليلة جلس (أدهم)

مستندًا إلى جذع شجرة ضخمة ، وهو يراجع الخريطة الضخمة التى تمثّل (بولندا) ، فى اهتمام وصمت كاملين ، وعندما انتهت (منى) من تضميد جراح (هملن) ، اتجهت إليه وهى تضع يديها فى جيبى معطفها ، وجلست إلى جواره ، وسألته :

ـــ هل وجدت المخرج ؟

ابتسم فى شرود وهو يهزّ رأسه نفيًا ، ثم قال :

ـــ لقد ضربوا حولنا حصارًا قويًّا ، فجانبىْ هذا الطريق أكثر وعورة مما يمكن اجتيازه ، ثم إنهما لن يقودانا إلى أية خطوة ناجحة ، ولقد ترك (وجه الفـأر) بعض رجالـه لحراسة الجانب الآخر من الهوة ، أما الجزء الذى نحن فيه فيقود إلى (جدانســك) مباشرة ، ولكنهم ولا شــك ينتظروننا هناك ، بل يتجهون إلينا أيضًا .

تنهّدت (منى) وهى تقول فى قلق :

ـــ هل فشلنا إذن ؟.

طوَى (أدهم) الخريطة ، ودسّها فى جيب معطفه ، وهو يقول :

ـــ هناك مخرج واحد ، ولكنه ....

وصمت ، فاستحثته (منى) على إكمال عبارته ، وهنا نظر إليها لحظة ، ثم قال فى هدوء :

ـــ ولكن هذا المخرج يحتاج إليك يا عزيزتى .

اتسعت عيناها دهشة لحظة ، ثم لم تلبث أن برقتا ببريق عزم ، وهى تقول :

ـــ لا بأس يا (أدهم) .. أنا على استعداد للتضحية بحياتى من أجلك .. أقصد من أجل نجاح المهمة .

ابتسم وهو يقول :

ـــ أتمنّى ألّا يصل الأمر إلى ذلك يا عزيزتى .. اقتربى وسأخبرك بخُطّتى .

* * *

أضاء (فولف جانج) مصباحى السيارة الضخمة ، التى يقودها بنفسه ، بحيث يمكنه رؤية كل شىء بالطريق ، بعد أن اضطرَّ للدوران حول الهُوَّة بأكملها ، ليصل إلى الجانب الذى هبط فيه (أدهم) بسيارته ، وزمجر وهو يقول فى غضب ، محدّثًا الرجل الذى يجلس إلى جواره :

ـــ لن يفلتوا منّا .. لقد حاصرناهم تمامًا .

أدار رفيقه رأسه ، ليلقى نظرة على السيارات الخمس المليئة برجال الشُرطة المسلحين التى تتبعهم ، ثم قال فى ضيق :

ـــ نعم يا هِرْ (فولف) .. ستتمكّن الشُرطة البولندية من إمساكهم .

نظر إليه (فولف) فى استعلاء ، وقال :

ـــ نعم أيها الرفيق .. سيعاونوننى على الإمساك بهم .

ثم صاح فجأة ، وهو يحدّق فى الطريق :

ـــ يا إلٰهى !! انظر هناك .. هذه الفتاة .

ثم أوقف السيارة إلى جوار (منى) تمامًا ، وقفز وهو يخرج مسدسه ، ويقترب منها قليلًا فى قسوة متوارية :

ـــ أى شيطان أتى بك إلى هذا الطريق المهجـــور يا جميلتى ؟

تظاهرت (منى) بارتياح ، وهى تسرع نحوه صائحة بالإنجليزية :

ـــ حمدًا لله .. أنتم رجال شرطة .. أليس كذلك ؟..

أنقذونى من هؤلاء الوحوش الثلاثة الذين يتبعوننى .

التقى حاجبا (فولف) فى مزيج من الشك والدهشة ، وهو يتساءَل بالإنجليزية :

ـــ أيّة وحوش ؟.. هل تمزحين يا فتاة ؟

لوَّحت بكفّها فى رعب أجادت تمثيله ، وهى تصيح :

ـــ مطلقًا يا سيّدى .. إنهم ثلاثة رجال ، استولوا على سيارتى ونقودى .. أريد أن أتقدَّم بشكوى .

أمسك (فولف) معصمها فى قسوة آلمتها ، وهو يسألها فى حدَّة :

ـــ من أنت أوَّلًا أيتها الإنجليزية ؟ وكيف وصلت إلى هذا الطريق شبه المهجور ؟

تأوَّهت (منى) فى ألم ، وقالت :

ـــ أنـا (لـندا آرثـر) سائحـة إنجليزيـة ، ولقـد أخطـأت الطريق ، ووجدت نفسى أمام ثلاثة رجال : أحدهم عجوز فى الستين يبدو مخيفًا ، ولقد استولوا على سيارتى ونقودى و ....

برقت عينا (فولف) ، وهو يسألها :

ــ أين تركتهم يا سيِّدتى ؟

قالت (منى) :

ــ لقد سمعتهم يقولون إنهم سيحاولون القفز عَبْر الهُوَّة .. لابدَّ أنهم مجانين .

ترك (فولف) معصمها ، وأسرع نحو السيارة صائحًا :

ــ فلنسرع إلى نهاية الطريق .. لابدَّ أن نلحق بهم .

انطلقت سيارة (فولف) وسط السيارات الخمس الأخرى فى سرعة ، حتى أنهم نسوا أن يحملوا معهم (منى) ، التى ابتسمت قائلة :

ــ وداعًا يا هِرّ (فولف) .. وداعًا يا (وجه الفأر) .

* * *

انتهى (أدهم) من إيصال مصباحى السيارة المحطَّمة ببطاريتها ، ثم لامس الأسلاك ، وابتسم حينما أضاء المصباحان ، وسمع صوت (فون هملن) يقول فى عجب :

ــ ماذا تتوقَّع أن يفعل هذان المصباحان ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء ، وهو يطفئ المصباحين :

ــ سيشوِّشا الرؤية أمام صديقنا (وجه الفأر) ، فلا يتبيَّن الهُوَّة التى تعترض طريقه .

هزَّ (هملن) كتفيه ، وقال وهو يرفع مسدسه أمام وجهه :

ــ إن (فولف جانج) لن تهزمه مصابيح سيارة ، مهما بلغت قوتها أيها المصرى .... الرصاص فقط هو الذى يحطِّم رأسه الصلب .

زوَى (أدهم) ما بين حاجبيه ، وقال :

ــ لم أكن أفضِّل اللُّجوء إلى القتل يا هِرّ (هملن) ، ولكن للضرورة أحكام .

ابتسم (هملن) وهزَّ كتفيه فى لامبالاة ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت السيارات التى تقترب ، فأشار (أدهم) إلى شجرة قريبة ، وقال :

ــ لقد حانت المواجهة يا (هملن) .. أسرع بالاختباء .

ثم اختفى خلف إحدى الأشجار القريبة ، وأمسك بسلكى البطارية مترقبًا ، حتى لاحت له أضواء السيارات التى تقل (فولف) ورجال الشرطة ، فغمغم فى سخرية :

ــ لنرَ .. أتهزمك المصابيح ، أم تحطِّمنا أنت يا (وجه الفأر) ؟

* * *



٧ ــ الحرب خدعة ..

قاد (فولف جانج) سيارته فى جذل ، نحو المنطقة التى حدَّدتها (منى) ، وهو يقول لرجل الشُّرطة البولندى الذى يجلس إلى جواره :

ــ هل تعلم لمَ استولوا على سيارة السائحة الإنجليزية ؟ .. لأن سيارتهم تحطَّمت تمامًا ، حينما هبطوا على هذا الجانب .. لقد رأيت هذا بعينى .. لقد أخطئوا حينما تركوا هذه السائحة على قيد الحياة .

غمغم رجل الشُّرطة البولندى فى شك :

ــ ألا يثير هذا تعجُّبك يا هِرّ (فولف) ؟

وقبل أن يفكِّر (فولف) فى الأمر ، أضاء (أدهم) المصباحين ، اللذين أطلقا ضوءهما فى وجه (فولف) تمامًا ، فصرخ :

ــ ها هم أولاء .. إنهم يحاولون الهرب .

لَمْ يكن الظلام يسمح له برؤية أكثر من مصباحى سيارة مضيئين ، ولكنه اتخذ موقفًا شجاعًا جريئًا ، فقد انحرف بالسيارة فى حدّة ، وضغط (فراملها) فى قوة ، بحيث توقَّفت وسط عاصفة من الغبار فى مواجهة المصباحين تمامًا ، وهو يظن أنه بذلك يقطع الطريق على السيارة الأخرى .. ولَمْ تتوقَّف سيارات الشرطة الخمس الأخرى ، بل حاولت تطويق ما ظنَّته سيارة فى المواجهة ، فاندفعت أربع سيارات فى الاتجاهين المحيطين بالمصباحين ، وتنبَّه سائقوها بعد فوات الأوان ، أنه لا توجد أيَّة سيارات .. مجرَّد مصباحين متصلين ببطارية سيارة ، ومثبَّتين على حافة الهُوَّة السحيقة تمامًا ...

وأمام عينى (فولف) الجاحظتين ، هوت السيارات الأربع فى الهُوَّة السحيقة ، وارتفع صراخ الحشد الذى يملؤها من رجال الشرطة ، وتوقَّفت السيارة الخامسة خلف سيارة (فولف) تمامًا ، وقفز منها سبعة من رجال الشرطة ، لقى منهم اثنان مصرعهما فى أول لحظة برصاصتين من مسدس (هملن) ، وقفز (فولف) من سيارته ، وكذلك

فعل رفيقه الشرطى البولندى ، وأخرج كل منهما مسدسه ، فى نفس اللحظة التى حطَّمت فيها رصاصات (هملن) مصابيح السيارتين ، وجذب (أدهم) الأسلاك ، فساد الظلام التام ..

همس (فولف) فى حنق وغيظ :

ــ يا للعار !! لقد حطَّموا قُوَّتنا فى الثوانى الأُولى من المعركة .

أجابه الشرطى البولندى :

ــ لقد خدعونا خدعة بارعة يا هِرْ (فولف) ، والآن ألقوا بنا فى مصيدة من الظلام الدَّامس .

تلفَّت (فولف) حوله ، محاولًا الرؤية من خلال الظلام ، ثم همس فى قلق :

ــ هؤلاء الأوغاد يحاولون التستُّر بالظلام .. ولكنهم فى الواقع فى مصيدة مظلمة مثلنا تمامًا .

وفى نفس اللحظة ، كان أحد الجنود الخمسة الباقين يهمس فى أذن زميل له :

ــ لقد دفعنا هذا الألمانى إلى الفخ ، وتسبَّب فى مصرع زملائنا .. لو أن الأمر بيدى لخنقته عقابًا له .

قال زميله وهو يحاول اختراق الظلام ببصره :

ــ دَعْكَ من هذه الأفكار ، ولنؤجل ذلك إلى ما بعد قضائنا على هؤلاء الأعداء .

أجابه الجندى فى قلق :

ــ أنت على حقٍّ يا .....

وبتر عبارته فجأة فى شهقة مكتومة ، التفت لها الجنود الأربعة الآخرون ، وخُيِّل إليهم أن شبحًا مرعبًا قد انقض عليهم وسط الظلام ، فقد طارت مدافعهم الرشاشة الأربعة فجأة بضربات قوية ، وشعر أوَّلهم بصاعقة حطَّمت فكَّه ، ومادت الأرض تحت قدمى الثانى ، إثر قنبلة انفجرت فى أنفه ، وهَوَى الثالث مغشيًّا عليه ، بعد أن تهشَّمت أسنانه بفعل مطرقة فولاذية هبطت فوقها ، ولم يجد الرابع وقتًا لفهم ما حدث ، فقد سقطت لكمة ساحقة بين عينيه ، وأخرى خلف أذنه ...

وانتهى الرجال الخمسة دون ضجيج ، وابتسم (أدهم) فى سخرية وهو يزيحهم بعيدًا ، ثم زحف فى هدوء نحو سيارة (فولف) ، وأفرغ الهواء من عجلتيها اليمينيتين وهو يسمع صوت أنفاس (فولف) والشُّرطى البولندى من الجانب الأيسر ، وعاد يزحف عائدًا إلى السيارة ، وهو يقول لنفسه ساخرًا :

ــ يا للعجب !! إن هذا يذكِّرنى بأيام الصاعقة .

وفى هدوء استقر خلف عجلة قيادة السيارة الأخرى ، وحرَّك عصا السرعة إلى الوضع الأوَّل ، ثم إدار المحرِّك .. ولم يكد صوته يصل إلى أذنى (فولف) والبولندى ، حتى استدارا فى جزع ، وقد ظنَّا أن رجالهما هم المتسبِّبون فى ذلك .. وفى نفس اللحظة انطلقت رصاصات مسدس (هملن) ، فأسرع (فولف) والبولندى يستتران خلف سيارتهما ، وانطلقت ضحكة (أدهم) الساخرة تجلجل فى المكان ، عندما قفز (فون هملن) إلى السيارة ، وانطلق بها (أدهم) فى سرعة ومهارة ، وصرخ (فولف) فى غيظ وحنق :

— يا للشيطان !! لقد خدعونا مرة أخرى .. خدعونا كما لو كنا مبتدئين سذج ..

وأعقب قوله بأن قفز إلى السيارة الأخرى ، وأدار محركها ، ولحق به البولندى ، وحينما حاول الانطلاق بها فوجئ بما أصاب العجلتين إلى اليمين ، فصرخ فى غيظ ، ورفع سماعة جهاز الإرسال المثبت بالسيارة ، وصاح فى غضب :

— إلى القوات الرابضة فى (جدانسك) .. لقد أفلت من نطاردهم وهم فى طريقهم إليكم .. إنها السيارة الوحيدة على الطريق الفرعى .. أطلقوا النار فى الحال .. دون إنذار .

* * *

قال (ڤون هملن) فى غيظ ، وهو يقرِّب وجهه من زجاج السيارة ، حتى يكاد يلتصق به :

— هل أنت مصرٌّ على القيادة بهذا البطء ؟

ابتسم (أدهم) ، وقال :

— إننا نسير بسرعة ستين كيلومترًا فى الساعة ، ولا تنسَ أن مصابيح السيارة محطَّمة بفعل رصاصاتك ، والظلام يكاد يكون شاملًا ، لولا قليل من ضوء القمر ..

غمغم (ڤون هملن) فى حنق :

— إننى فى الواقع أتساءل : كيف يمكنك القيادة فى هذا الظلام ؟ لقد ظننت أن عينىَّ تخدعاننى .

ابتسم (أدهم) وقال :

— ها هى ذى زميلتنا (منى) ..

ابتسم (هملن) فى خبث ، وقال وهو يمسّ كتف (أدهم) بأصابعه :

— بالمناسبة أيها المصرىّ .. لقد سمعتها تناديك (أدهم) ، وملفكم كمصريين يحوى اسم رجل خارق يمتلك نفس قدراتك ، كنا نظن أنه لقى حتفه .

أوقف (أدهم) السيارة ، والتفت إليه قائلًا فى برود :

— وبعد يا هرْ (هملن) .

قفزت (منى) إلى السيارة فى تلك اللحظة ، وهى تقول :

— حمدًا لله على وصولكما سالمين .. لقد خشيت بعض الوقت أن يهزموكما .

كان (هملن) هو الذى تحدَّث قائلًا :

— اطمئنى يا سيِّدتى .. إنهم يواجهون آخر رجل جستابو فى العالم ، والشيطان المصرى (أدهم صبرى) .

توقَّفت (منى) فجأة ، ونقلت بصرها بينهما ، ثم قالت فى بطء :

— كيف عرفت يا هرْ (هملن) ؟

ابتسم (أدهم) فى مرارة ، وقال وهو يدير محرِّك السيارة :

— لقد عرف بفضلك كالعادة يا عزيزتى .. بفضل ثرثرتك .

امتقع وجه (منى) ، على حين قال (هملن) فى هدوء :

— لا تخشَ شيئًا يا شيطان المخابرات المصرية .. لن يعلم سرَّك سواى .

وفجأة ، وبمجرد أن بدأت السيارة فى السير ، وقبل أن ينطق (أدهم) بكلمة واحدة تعقيبًا على قول (هملن) ، انطلقت أضواء قوية فى وجه السيارة ، وانهمر وابل من الرَّصاص حولها ، وصرخت (منى) :

— يا إلهى !! لقد اقتنصونا .. لقد سقطنا فى أيديهم يا (أدهم) .

* * *

٨ ـ العبور الأخير ..

انتاب (منى) شعور عارم باليأس ، ودُنُوّ الأجل ، وأسرع (هملن) يخرج مسدسه الضخم ، ويسحب إبرة الأمان به ، على حين فاجأهما (أدهم) ، عندما صاح فجأة بالألمانية ، مقلِّدًا صوت (فولف جانج) بشكل رائع ، أذهل (هملن) نفسه :

ـ توقّفوا أيها الأوغاد .. ألَمْ تروا أنها سيارة شرطة ؟

توقّف انهمار الرصاصات فجأة ، وقد ظنّ رجال الشرطة أنهم أخطئوا بإطلاق النار على (فولف) نفسه .. ولَمْ يَضِعْ (أدهم) لحظة واحدة ، ولا جزءًا من الثانية .. فبمجرّد توقُّف إطلاق النار ، انطلق هو بالسيارة وسط حشود الشرطة فى جرأة مذهلة مربكة ، ومرق بين سيارتين ، محطِّمًا المصباح الأيسر لإحداهما ، وضغط دوّاسة الوقود بكل ما يملك من قوة ، فاندفعت السيارة بسرعة تفوق قدرة

محركها ، حتى وهى جديدة ، ومن خلفه انطلقت رصاصات رجال الشرطة محمَّلة بالغضب والحنق والكراهية ، ولكنها ارتطمت بمهارة (أدهم) ، وضحكته الساخرة ، وهو يقول فى سخرية مريرة :

ـ عجبًا .. يخيّل لى أننى قد شاهدت هذا الموقف من قبل .

أجابته (منى) فى صوت مفعم بالقلق :

ـ ولكنه لم يكن بهذه الوعورة .

وكانت على حق ، إذ انطلقت خلفهم تسع سيارات تابعة للشرطة البولندية ، وطريقهم واحد يتجه إلى (جدانسك) ، حيث ينتظرهم رجال الأمن ... وساد الصمت فى السيارة .. لم يعد هناك سوى صوت المحرّك ، وصفّارات سيارات الشرطة المطاردة ، إلى أن قال (أدهم) :

ـ إن قاعدة حلف (وارسو) تقع على بعد ثلاثة كيلومترات غربى (جدانسك) ، ولها طريق منفصل ، محاط بالأشجار .. أليس كذلك ؟.

أجابه (هملن) :

ـ بلى .. ما الذى تهدف إليه ؟

تجاهل (أدهم) السؤال ، وعاد يسأل :

ـ هل يمكنكما القفز من السيارة ؟

أجابت (منى) :

ـ يمكننى ذلك بالطبع .

أما (هملن) فقد تردّد لحظة ، ثم قال :

ـ إن ساقى مصابة ، وسنّى قد تخطّت هذه الأعمال العنيفة ، ولكن .. أعتقد أننى أستطيع ذلك .

قال (أدهم) وهو ينطلق بالسيارة ، ويختلس النظر ما بين لحظة وأخرى ، إلى السيارات المطاردة من خلال مرآة السيارة :

ـ حسنًا .. سأسقطكما على بعد كيلومتر من القاعدة ، وعلينا أن نلتقى هناك ، بجوار السور الشرقى فى العاشرة والنصف تمامًا .

سألته (منى) فى قلق :

ـ ألن تقفز معنا ؟

ابتسم ابتسامة ساخرة ، وقال :

ـ إنهم ليسوا بمثل هذا الغباء يا عزيزتى .

ثم قال فى حزم وجدّية :

ـ هيّا .. استعدّا للقفز .

وانحرف فجأة نحو أكمة من الأشجار المتشابكة ، وصاح :

ـ اقفزا .

قفزت (منى) فى شجاعة وسط الأشجار المتشابكة ، وشعرت بالأغصان تمزّق معطفها فى صوت مزعج ، وأصابتها بعض الجروح والخدوش ، وتدحرجت طويلًا على الأرض قبل أن تستقر ، وتنظر فى دهشة إلى سيارة (أدهم) ، التى عادت إلى الطريق ، وواصلت اندفاعها .. وما هى إلّا ثوانٍ ، حتى مرقت أمامها سيارات الشرطة المطاردة فى صوت مزعج .. وكان من الواضح أنها لم تلتفت أو تنتبه لقفز (منى) و (هملن) ، بدليل أن إحداها لم تتوقّف ..

وشعرت (منى) بمدى ذكاء (أدهم) ، حينما انحرف داخل الأكمة المتشابكة لحظة القفز .. وبينما هى فى أفكارها شعرت بكفّ خشنة تمسّ يدها ، فانتفضت فى ذعر ، ولكنها تنهّدت حينما سمعت صوت (هملن) الأجش يقول :

ـــ هل أنت بخير يا سيّدتى ؟.. دَعِينا نسرع إذن إلى مكان اللّقاء .

نفضت (منى) الغبار عن معطفها ، وقالت وهى تنهض :

ـــ هيّا يا هِرْ (هملن) .. ولندعُ الله أن ينجح (أدهم) فى اللّحاق بنا .

ابتسم (هملن) ، وهو يقول :

ـــ لا تقلقى على هذا الرجل يا سيّدتى .. صدّقينى .. لو كان لدينا رجل مثله ، لما خسرت (ألمانيا) الحرب العالمية الثانية .

* * *

لم يكد (أدهم) يطمئن أن أحدًا لم يلمح (منى) و (هملن) ، وهما يقفزان خارج السيارة ، حتى أطلق لها العنان ، وهو يقول لنفسه فى سخرية :

ـــ ويل لك يا (أدهم) ، لو أن هؤلاء المتوحّشين لحقوا بك !!

ثم رفع قدمه متعمّدًا عن دوّاسة الوقود ، وضغط فى هدوء على (فرامل) السيارة ، بحيث انخفضت سرعتها فجأة ، ومال بها جانبًا ، قاطعًا الطريق على السيارات المطاردة التى أصابها الارتباك ، فانحرفت كل منها فى اتجاه عشوائى ، أدّى إلى ارتطام ثلاث منها بعضها ببعض ، على حين نجحت الست الأخرى فى تفادى الارتطام ، وأصابتها الدهشة حينما اندفعت سيارة (أدهم) ، وكأنه فقد سيطرته عليها ، وسط نخيلة متشابكة الأغصان على جانب الطريق ، وارتطمت السيارة بجذع ضخم ، فانقلبت وتهشّمت مقدمتها ، ولم تلبث أن اندلعت منها النيران ...

قفز رجال الشرطة من سياراتهم ، وهم يحملون أجهزة إطفاء النيران ، والتفوا حول السيارة المشتعلة يهدفون

إلى إخماد نيرانها ، ووقف قائدهم يراقبهم عن بعد ، وقد انتفخت أوداجه فى فخر ، وهو يقول :

ـــ ها قد قضينا على الجواسيس دون معاونتك يا هِرْ (فولف) .

* * *

جالت (منى) ببصرها فى قلق ، حول السُّور الضخم المدعّم بالاستحكامات والتحصينات القوية ، والمحيط بقاعدة حلف (وارسو) العسكرية ، وازدردت لعابها فى صعوبة ، وهى تتأمّل الحرّاس الأقوياء ، الذين يسيرون فى حركة مستمرة دائبة ، لحماية مدخل القاعدة ومخارجها ، ثم نظرت فى ساعتها ، والتفتت إلى (فون هملن) تسأله :

ـــ هل لديك أيّة فكرة عن الوسيلة التى ينوى (أدهم) اتباعها ، لدخول هذه القاعدة العسكرية ؟.. إنها أشبه بالحصن .

هزّ (هملن) رأسه فى قلق ، وقال :

ـــ كان من المفروض أن أسألك أنا هذا السؤال يا سيّدتى ، فأنت زميلته .

تنهّدت فى ضيق ، وقالت :

ـــ ليته يعاملنى بهذا الاعتبار يا هِرْ (هملن) .

وفى تلك اللحظة ، سمع كلاهما صوتًا ساخرًا خافتًا يقول :

ـــ لا داعى للتبرُّم أيتها النقيب !

التفتت (منى) فى سعادة ، وهتفت فى صوت خافت :

ـــ (أدهم) .. حمدًا لله على نجاتك .

اقترب (أدهم) فى هدوء ، وقال وهو ينزع معطفه الممزّق :

ـــ شكرًا يا عزيزتى .. ولكنى أعتقد أن زملاءنا فى المخابرات ، سيفضلون بتر ساق ، التى تتحمَّل الكثير وهى مصابة .

ابتسم (هملن) ابتسامة شاحبة ، وقال :

ـــ إن حالها أفضل من ساق بالتأكيد .

أسرعت (منى) تسأل :

ــ ألَمْ يتبعك أحدهم يا سيادة العقيد ؟

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، والتفت إلى (هملن) ، ومدَّ يده إليه قائلًا :

ــ هل تسمح بتسليمى مسدَّسك يا هِرْ (هملن) ؟

ناوله (هملن) المسدَّس فى ثقة ، فدسَّه (أدهم) فى جيب سترته ، وقال :

ــ شكرًا يا هِرْ (هملن) .. سأردّه لك فى (السويد) .

سألته (منى) فى فضول يمتزج بالقلق :

ــ هل لديك خُطَّة معينة ، لكيفية دخولنا القاعدة يا سيادة العقيد ؟

ابتسم (أدهم) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

ــ بالطبع يا عزيزتى .. سندخل من الباب الرئيسى .

نظرت إليه فى دهشة ، ولكنه رفع مسدَّسه نحوها ونحو (هملن) ، مستطردًا فى هدوء :

ــ معذرة .. فأنتما أسيراى .

* * *

٩ ــ الجنرال (روزسكى) ..

تحرَّك حارسا الباب الرئيسى لقاعدة حلف (وارسو) العسكرية ، حركتهما الروتينية المعتادة ، وقد أصابهما الملل الشديد ، وفجأة خالف أحدهما سيره ، ورفع مدفعه الرشاش يصوِّبه إلى ثلاثة أشخاص يتقدَّمون ، وأسرع زميله يحذو حذوه ، حينما اقترب الثلاثة من الضوء ، وتبيَّن أنهما رجلان وامرأة ..

كان أحد الرجلين وهو الأكبر سنًّا يسير إلى جوار المرأة فى الأمام ، وقد ارتفعت أذرعتهم فوق رأسيهما ، على حين سار الرجل الأصغر سنًّا خلفهما ، وفى قبضته مسدس ضخم ، يصوِّبه إليهما ..

صاح أحد الحارسين فى صرامة :

ــ قِفُوا .. أسرعوا بإخبارنا عن معنى ذلك ، وإلا أطلقت النار .

قال (أدهم) بلغة ألمانية ، وهو يخفض مسدَّسه :

ــ لا تبعد فوَّهة مدفعك الرشاش عنهما يا صديقى ، فهما أسيراى .

ثم تقدَّم من الحارس الثانى ، الذى صوَّب مدفعه نحوه فى شك وحذر ، وقذف (أدهم) مسدسه بين قدمى الحارس ، وقال وهو يخرج من جيب سترته بطاقة بلاستيكية يقدِّمها له :

ــ اطمئن يا صديقى .. إننى أريد مقابلة قائد القاعدة .. سلِّمه بطاقتى هذه .

تناول الحارس البطاقة فى حذر ، ولم يكد ينظر إليها حتى اعتدل فى احترام ، وقال فى لهجة عسكرية ، وهو يرفع يده بالتحية :

ــ معذرة يا هِرْ (شميت) .. سأقدِّم بطاقتك إلى القائد فورًا .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يشير إلى (منى) و (هملن) :

ــ نعم يا صديقى .. أسرع .. وأخبره أن معى أسيرين .

* * *

عقد (أدهم) كفَّيه خلف ظهره ، ووقف فى هدوء ينتظر أوبة الحارس ، الذى هُرع لإخبار قائده ، وابتسم ابتسامة شاردة وهو ينظر إلى الحارس الآخر ، الذى شعر بأهمية (أدهم) ، من الحوار الذى دار بينه وبين زميله ، فأبعد عنه فوَّهة مدفعه الرشاش ، وصوَّبها إلى (منى) و (هملن) ، اللذين تظاهرا بالاستسلام والخضوع ..

وسرح (أدهم) بأفكاره ، فيما حدث منذ إسناد هذه المهمة المعقَّدة إليه .. كان يشعر بتعب من جرَّاء حركته المتواصلة ، وبألم شديد فى ساقه المصابة ، أخذ يتضاعف منذ قفز من سيارة الشرطة عند الخميلة المتشابكة .. واتسعت ابتسامته وهو يتصوَّر ما سيفعله قائد قاعدة حلف (وارسو) العسكرية ، حينما يطَّلع على بطاقته المزيَّفة ...

لم يكن اختيار قاعدة حلف (وارسو) نقطة للهروب أمرًا جزافيًا ، أو خُطَّة وليدة الساعة ، وإنما كان تقديرًا عكف خبراء المخابرات المصرية على دراسته ، وتفنيده بكل دقَّة ممكنة ، منذ إقرار القيام بالعملية .. لقد تمت دراسة شخصية قائد القاعدة الجنرال (ليخ روزسكى) .. علاقاته .. اهتماماته .. صلاته الشخصية والعملية .. إمكانية الفرار .. الخطوات المحتملة .. وفى النهاية تحرَّكت أصابع (قدرى) الماهرة الفنية ، لتزوِّر بطاقة من بطاقات المخابرات الألمانية الشرقية ، تحمل صورة (أدهم) ، واسم (هاندل شميث) ، وصفته مدير مكتب العلاقات الخارجية بالمخابرات الألمانية الشرقية .. منصب مخيف تهتزّ له النجوم التى تزيِّن كتفى الجنرال (روزسكى) ...

وأفاق (أدهم) من أفكاره ، حينما سمع صوت الحارس ، الذى عاد لاهثًا وهو يفتح بوابة القاعدة ، قائلًا فى احترام :

ـــ الجنرال (روزسكى) ينتظرك بمكتبه يا هِرْ (شميت) .

ابتسم (أدهم) ، وقال وهو يشير إلى (منى) و (هملن) :

ـــ اصحبهما معى إلى هناك .. وثِقْ أن رئيسك سيُسَرُّ بذلك .

* * *

نهض الجنرال (روزسكى) ، أو بمعنى أدقّ .. قفز من خلف مكتبه ، ومدَّ يده فى ترحاب مبالغ فيه إلى (أدهم) ، الذى صافحه فى هدوء ، وقال بغطرسة متعمَّدة :

ـــ كيف حالك يا جنرال (روزسكى) .. أما زلت تهوى جمع علب الثقاب ؟

ابتسم الجنرال (روزسكى) ، وقال فى خبث :

ـــ بلَى يا هِرْ (شميت) .. إنك تقول ذلك لتمحُو من ذهنى أية بادرة شك بالنسبة لشخصيتك .. أليس كذلك ؟.

هزَّ (أدهم) كتفيه ، وقال :

ـــ إننا لَمْ نتقابل من قبل ، ولكن بطاقتى تكفى لإثبات شخصيتى يا جنرال .

ضحك الجنرال ، وهو يشيح بيده قائلًا :

ـــ بلا شك يا هِرْ (شميت) .. قلائل إلى حدّ الندرة ، هؤلاء الذين يعلمون بشكل بطاقات المخابرات الشرقية .. حتى المخابرات الأخرى تجهل ذلك .

ابتسم (أدهم) ابتسامة عريضة ، أخفى بها ضحكة ساخرة ، حاولت الإفلات من بين شفتيه ، وقال :

ـــ أنت محقّ يا جنرال .. وفى الواقع لقد أتيت إلى هنا لأمر غاية فى الخطورة ، ويحتاج إلى سرِّيَّة مطلقة .

ابتسم (الجنرال (روزسكى) ، وقال فى مكر :

ـــ يقولون إنك تقود أسيرين يا هِرْ (شميت) .

مال (أدهم) نحوه ، وقال فى لهجة خافتة ، توحى بأهمية الأمر البالغة :

ـــ ليسا أسيرين عاديين يا جنرال .. إنه آخر رجال الجستابو ورفيقته .

اتسعت عينا الجنرال ، وهو يغمغم فى ذهول :

ـــ يا إلهى !! آخر الجبابرة .. لعلك تقصد (ڤون هملن) ، الذى فرَّ منكم منذ أيام .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال بنفس اللهجة ذات الأهمية :

ـــ نعم يا جنرال .. لقد أمسكت به بعد لأى ، ولكننى مطارد .

سأله الجنرال فى حماس :

ـــ ممَّن يا هِرْ (شميث) ؟

أجاب (أدهم) ، وهو يلوِّح بكفِّه فى حركة لا تعنى شيئًا :

ـــ أنت تعلم أن (الموساد) يسعى دائمًا خلف النازيين القدامى ، فى محاولة للنَّيل منهم ، انتقامًا لما فعله (هتلر) فى الحرب الأخيرة .

قال الجنرال ، وقد اكتست ملامحه وصوته بالاهتمام والجدِّيَّة :

ـــ تقصد أن رجال (الموساد) يطاردونك ؟

قال (أدهم) وهو يمطّ شفتيه فى حركة مفتعلة :

ـــ بالضبط يا جنرال ؛ لذا تجدنى غير قادر على اتباع الوسائل المألوفة فى التنقُّل ، ولقد فكَّرت فى فكرة مجنونة .

ثم رمق الجنرال بنظرة عجيبة ، وهو يستطرد :

ـــ تحتاج إلى رجل شجاع قوىّ لمعاونتى على تنفيذها .

قال الجنرال فى حماس ، وهو يخبط بقبضته على زجاج مكتبه :

ـــ مُرْ بما تريد يا هِرْ (شميث) .

مال (أدهم) نحوه ، وضاقت عيناه وهو يقول فى صوت هامس :

ـــ أحتاج إلى استعارة أحد زوارقك البخاريَّة القويَّة يا جنرال .

اتسعت عينا (روزسكى) دهشة ، وعاد إلى مقعده ، وزوَى ما بين عينيه ، وأخذ يحُكّ ذقنه فى تردُّد وحَيْرة ، وهو يقول :

ـــ ولكن هذا إجراء خطير يا هِرْ (شميث) .. إجراء خطير للغاية .

قال (أدهم) فى لهجة حماسية :

ـــ لذا فهو يحتاج إلى رجل غير عادىّ يا جنرال .

تردَّد الجنرال (روزسكى) لحظة ، ثم قال وهو يقلّب كفّه :

ـــ من الصعب تحمل مسئولية ذلك يا هِرْ (شميت) .

قلَّب (أدهم) شفتيه ، وكأنه شعر بالازدراء ، وقال :

ـــ سأترك لك بطاقة هويَّتى يا جنرال ، وسأوقّع لك إقرارًا على مسئوليتى بذلك ، وسأتحمَّل كل ما يترتب على الأمر .. فلقد وجدت أن وصولنا إلى (ألمانيا الشرقية) عن طريق البحر ، أمر لن يتوقَّعه خصومنا من رجال (الموساد) ، فهم يتوقَّعون منَّا عبور الحدود .

ثم أشاح بوجهه ، وهو يستطرد فى لهجة إغرائية :

ـــ يا للأسف !! كنت قد سمعت أنهم ينوون إنشاء جهاز خاص للمخابرات يتبع الحلف ، وأنهم يبحثون عن رئيس له يتميَّز بالشجاعة والجرأة و ....

برقت عينا الجنرال طمعًا ، وهبَّ واقفًا وهو يضرب قبضته على سطح مكتبه ، قائلًا فى حماس مفتعل :

ـــ أنت محق يا هِرْ (شميث) .. لابدَّ من خطوة جريئة .. سأسلِّمك الزَّورق .

ثم رفع سماعة الهاتف الداخلى ، وألقى بأوامره إلى رجاله ، وهو يحلم بتقلُّده منصب مدير مخابرات حلف (وارسو) .

* * *



١٠ ـــ الصاروخ القاتل ..

قذف (فولف جانج) سماعة جهاز اللاسلكى الصغير فى غضب ، والتفت إلى قائد رجال الشرطة صائحًا :

ـــ لقد كانت السيارة المحترقة خالية .. لقد خدعوا رجالك للمرة الثالثة يا (كالسكى) .

زمجر (كالسكى) بغمغمة غاضبة دون أن يتكلم ، على حين استمر (فولف) يقول :

ـــ ولكن لماذا ؟.. لماذا فعلوا ذلك ؟ وأين اختفوا فى الطريق إلى (جدانسك) ؟.

وأشعل سيجارة رفيعة ذات رائحة قوية ، ونفث دخانها وهو يتطلَّع فى حَيْرَة إلى الخريطة الضخمة المفرودة أمامه ، وأخذ يدعك صدغه فى قوة ، وقد التقى حاجباه فى شكل ينمّ عن التفكير العميق .. واقترب منه (كالسكى) ، وتظاهر بمراقبة الخريطة بدوره ، وإن كان فى أعماقه يشعر

بحنق بالغ ، من تدخُّل هذا (الألمانى الشرقى) فى شئون (بولندا) ، ولكنه تذكَّر أن الأمر يتعلَّق بألمانى آخر ، فهزَّ كتفيه وأبعد رأسه فى اشمئزاز عن الدُّخان الكريه الذى ينفثه (فولف) من فمه .

وفجأة برقت عينا (فولف) ، وأشار إلى نقطة ما على الخريطة قائلًا :

ـــ هذه هى قاعدة الحلف العسكرية .. يا للشيطان !! هذه هى وجهتهم .

قطَّب (كالسكى) حاجبيه ، وقال :

ـــ هذا مستحيل يا هِرْ (فولف) .. لن يمكنهم اقتحام قاعدة عسكرية .

صاح (فولف) فى حماس :

ـــ هذا هو الفرق بيننا كرجال مخابرات ، وبينكم كرجال شرطة يا (كالسكى) .. أنتم ترون الكثير من المستحيلات ، ونحن لا نراها كذلك .. إن رجل المخابرات الأمريكى هذا شيطان و ....

قاطعه (كالسكى) ، قائلًا فى دهشة :

ـــ أمريكى ؟! .. ألَمْ تقل من قبل إنه ألمانى غربى ؟

هزَّ رأسه فى قوة ، قائلًا :

ـــ بل أمريكى يا (كالسكى) .. لو أنك رأيت كيف قفز بالسيارة عَبْرَ الهُوَّة ، لجزمت أنه كذلك .

ثم عاد إلى الخريطة ، وقال وهو يرتدى معطفه على عجل :

ـــ المهم أن نلحق بهم ، قبل أن يحصلوا على أحد زوارق قاعدة حلف (وارسو) .. فلو أنهم تخطَّوا حدود المياه الإقليمية ، فسنفقد رجل الجستابو الأخير هذا إلى الأبد .

* * *

نقل الجنرال (روزسكى) عينيه بين (أدهم) و (منى) و (هملن) ، ثم عاد ينظر إلى محرِّكات الزورق البخارى الحربى ، ورفع رأسه فى حَيْرَة إلى (أدهم) ، وقال :

ـــ أواثق أنت من قدرتك على قيادة هذا الزَّورق وحدك إلى دولتك يا هِرْ (شميت) ؟

ابتسم (أدهم) قائلًا :

ـــ بلا شك يا جنرال .. إننى أقود هذه الزَّوارق الحربية ، بنفس البساطة التى يقود بها صبىّ صغير درَّاجة عادية .

هزَّ (روزسكى) كتفيه ، وقال :

ـــ وهل سيمكنك السيطرة على أسيريك ، وأنت هكذا وحدك ؟

أشار (أدهم) إلى (منى) و (هملن) ، ولوَّح بالمسدس الضخم الذى استعاره من (فون هملن) ، وقال :

ـــ إنهما مقيَّدان كما ترى يا جنرال ، كما سيخضعهما مسدسى هذا .

ابتسم الجنرال ، وقال وهو يصافح (أدهم) فى أمل [illegible] :

ـــ رحلة موفَّقة يا هِرْ (شميت) .. لا تنسَ أن تذكُرنى عند رؤسائك .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ لن تندم على مبادرتك الجريئة هذه يا جنرال .. أؤكد لك .

هبط الجنرال إلى الميناء ، وأشار إلى رجاله بحل مرساة الزَّورق الحربى ، ثم رفع يده بالتحية العسكرية مكرِّرًا .

ـــ رحلة موفَّقة يا هِرْ (شميت) .

وفى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت محرِّكات الزُّورق الحربى ، هرع أحد الجنود إلى الجنرال ، وناوله برقية خاصة ، وهو يلهث قائلًا :

ـــ سيِّدى الجنرال .. إنها برقية عاجلة للغاية ، استقبلها الجهاز السرِّىّ الخاص ، على الموجة الطويلة المحكمة .

تناول الجنرال البرقية فى اهتمام ، وارتجف قلبه المريض ، وجحظت عيناه ، وتفصَّد جسمه عرقًا ، حينما قرأ محتوياتها التى تقول :

« احذر الخداع .. ثلاثة من الجواسيس سيحاولون

الوصول إلى القاعدة ، والاستيلاء على أحد الزّوارق الحربية .. لا تسمحوا بذلك .. نكرّر .. احذر الخداع » .

شحب وجه الجنرال ، ورفع رأسه نحو الزّورق الذى بدأ يتحرّك فى بطء ، واحتبست الكلمات فى حلقه وهو يرتجف غضبًا ، ثم صاح أخيرًا فى غضب عارم :

ـــ أوقفوا هذا الزورق .. أوقفوا هؤلاء الجواسيس المخادعين .. أطلقوا النار .. اقتلوهم .. اقتلوهم .

* * *

كان هذ الأمر بمثابة مفاجأة مذهلة ، بالنسبة لجنود القاعدة ، الذين شاهدوا قائدهم (روزسكى) ، يهبط من الزورق البخارى هاشًا باشًا ، قبل إصداره هذا الأمر بثوان معدودة ؛ لذا فقد تردّدوا لحظة قبل إطلاق النار ..

أما (أدهم صبرى) ، فهو ضابط مخابرات ناجح ، ويرجع سرّ نجاحه إلى أنه يتوقّع المفاجآت والخطر فى كل لحظة ، ما دام يعمل على الرغم من المحيطين به ؛ ولهذا السبب وحده استفاد (أدهم) من تلك اللحظات التى

تردّد فيها الرجال ، فانطلق بالزورق الحربى ، مخالفًا كل القواعد البحرية المعروفة ، من حيث سرعة البدء ، وقواعد الإبحار ، واندفع يشقّ مياه البحر البلطى ، كسهم من الرصاص ، حتى أن (منى) و (هملن) سقطا أرضًا ، وتخلص هذا الأخير من قيوده التى تعمّد (أدهم) عدم إحكامها ، وقفز قائلًا فى حنق :

ـــ هل تنوى إنقاذى أو قتلى يا هِرْ (أدهم) ؟

قالت (منى) وهى تنهض ، بعد أن تخلّصت من قيودها :

ـــ اصمت يا هِرْ (هملن) .. إننا نتحمل كل هذا من أجلك .

ولكن (هملن) لم يسمع عبارتها تقريبًا ، فقد التصق بصره بميناء القاعدة العسكرية الذى يبتعد بسرعة ، ثم صرخ فى فرح عجيب :

ـــ ربّاه !! لقد هربنا .. لقد غادرنا القاعدة .

صاح (أدهم) ، وهو يواصل الانطلاق بالزورق :

ـــ لا تتعجّل يا (هملن) .. مازلنا داخل مياههم الإقليمية .

صاح (هملن) فى سعادة من لا يصدّق نفسه :

ـــ إننى مطمئن ، مادمت أنت تقود الزورق يا هِرْ (أدهم) .. لقد نجونا ..

ثم أسرع ينتزع زرًّا ضخمًا من أزرار معطفه ، ناوله إلى (منى) صائحًا :

ـــ خُذِى يا عزيزتى .. داخل هذا الزّرّ يوجد ميكروفيلم ، يضم صور الملف الخاص بمصر فى المخابرات الشرقية .

تألّقت عينا (منى) ، وهى تضم قبضتها على الزّر فى عناية ، وابتسم (أدهم) فى ظفر ، على حين استطرد (هملن) :

ـــ لقد أحرقت الملف الأصلى بالطبع ، فحمل فيلم صغير أسهل بكثير من حمل ملف ضخم .

وفى تلك اللحظة ارتفع أزيز محرّك ضخم ، ورفع الجميع رءُوسهم يحاولون اختراق الظّلمات ، على حين غمغم (أدهم) فى توتُّر :

ـــ لقد أطلقوا إحد طائرات الهليوكوبتر الحربية خلفنا .. لقد وصل الخطر إلى الذّروة يا رفاق .

* * *

لقد استغرق إعداد الزورق البخارى الحربى ، الذى انطلق به (أدهم) وقتًا طويلًا ، حتى أن (فولف جانج) وصل إلى القاعدة العسكرية ، فى نفس اللحظة التى انطلق فيها الزورق مبتعدًا ، تطارده رصاصات الجنود ، فقفز من سيارته إلى جوار الجنرال (روزسكى) صارخًا فى غضب :

ـــ هل سمحت لهم بخداعك أيها الجنرال البائس ؟.. هل أفلتوا ؟.. هل ساعدت آخر الجبابرة على الإفلات ؟

ارتجف الجنرال (روزسكى) ، حينما وقع بصره على (فولف) ، فقد كان يعرفه جيّدًا ، ويعلم مدى قسوته ، ولامبالاته بالآخرين ، وارتعد صوته وهو يقول :

— لقد أعطانى أحدهم بطاقة مزيّفة من بطاقات المخابرات و .....

قاطعه (فولف) صارخًا :

— تقصد رجل المخابرات الأمريكى .. يا لك من غبىّ !!

شحب وجه الجنرال (روزسكى) وهو يردّد :

— أمريكى ؟! يا للمصيبة !!

ثم عاد يلتفت إلى الزورق الذى غاب وسط ظلام الليل ، وصاح :

— سأرسل كل زوارقنا خلفه .. سأرسل أفضل رجالنا و ....

قاطعه (فولف) ، وهو يهزّ رأسه الشبيه بالفأر ، ويقول :

— لن تلحق به الزوارق .. إننا نحتاج إلى شىء أقوى وأسرع .. هل لديك أحد الهليوكوبترات الحربية ؟

تهلّلت أسارير (روزسكى) ، وكأنما تذكر ذلك ، وصاح :

— نعم يا هرّ .. لدينا هليوكوبتر مزوّدة بصاروخين قتاليين ، ومدفع رشاش و ....

صاح (فولف) مقاطعًا إيّاه :

— سأستقله فى الحال يا جنرال .. وربما يغفر لك ذلك بعض أخطائك .

وما هى إلا لحظات ، حتى كان (فولف) ينطلق بالهليوكوبتر ، ويحثّ قائدها على الإسراع ، وهو يزفر فى غيظ وحنق ، ويقسم بينه وبين نفسه على تدمير هؤلاء الرجال ، الذين كادوا يمنُّونه بأول هزيمة له منذ بدء عمله فى المخابرات الشرقية .. وفجأة رأى الزورق الحربى ينطلق على مقربة من الهليوكوبتر ، فأشار إليه وهو يصرخ فى قائد الطائرة :

— هيّا .. انقض على الزورق .. انسفه .. حطّمه .. لا تَدَع فيهم سنتيمترًا واحدًا سليمًا .

وفى هدوء المحترفين وثقة المقاتلين ، ضغط قائد الطائرة على زرّ القتال ، وانطلق من جانب الهليوكوبتر صاروخ قوى ، نحو الزورق الذى يحمل (أدهم صبرى) ورفيقيه .

* * *

١١ — الختـام ..

لو أن قائد الهليوكوبتر يمتلك أعصابًا فولاذية ، فيمكن القول إن أعصاب (أدهم صبرى) يمكنها شقّ أعصابه ، كما يفعل السكين بقطعة من الجبن الطازج .. فلقد انطلق الصاروخ نحو الزَّورق ، وانتظر (أدهم) حتى الثانية الأخيرة ، إلى درجة أن (فولف) صرخ صرخة فوز ، على حين صرخت (منى) صرخة رعب ، وهى تتصوَّر أن الثانية القادمة تحمل لها الموت .. ولكن (أدهم) انحرف بالزَّورق فجأة فى مناورة رائعة ، فسقط الصاروخ فى الماء ، وغاص طويلًا قبل أن ينفجر ، بصورة ارتج لها الزَّورق ، وصرخ (فولف) :

— يا للشيطان !! هذا الرجل ليس أمريكيًّا .. إنه من المخابرات الإنجليزية ، فهؤلاء القوم بحريون بالدرجة الأولى .

لم يسمع قائد الطائرة ما قاله (فولف) ، فقد شعر بالحنق بسبب إفلات الزَّورق منه ، واعتبر الأمر مهانة شخصية ، فانقض على الزَّورق ، وأطلق عليه الصاروخ الثانى ، وهو واثق من إصابته لهدفه ..

وربما كان الظلام ، أو الغضب ، أو مهارة (أدهم) الفائقة ، أو كل هذه العوامل مجتمعة .. المهم فى النهاية أن الصاروخ الثانى قد أخطأ هدفه أيضًا ، وانفجر وسط مياه البحر ، فقفز (ڤون هملن) صارخًا فى سعادة :

— لقد نجونا .. إن هذا النوع من الطائرات لا يحمل أكثر من صاروخين .. لقد نجونا .. لقد نجـ ....

وتوقَّفت حروف الكلمة الأخيرة فى حلقه ، وجحظت عيناه فى ذعر وألم ودهشة ، وارتفع فى نفس الوقت صوت طلقات المدفع الرشاش المتصل بالهليوكوبتر ، واندفعت الدّماء من ثقوب شتَّى فى جسد (ڤون هملن) ورأسه وعنقه .. وسقط هذا الأخير وسط بركة من الدماء ، وقد فاضت روحه ..

صرخ (فولف جانج) فى سعادة يستحيل وصفها بالكلمات :

ـــ لقد انتصرت .. لقد قضيت على آخر الجبابرة .. لقد حطَّمت آخر جستابو فى العالم .

قال الطيَّار فى برود :

ـــ هل نعود ؟

صاح (فولف) ، وقد منحه انتصاره نشوة عارمة :

ـــ لا يا صديقى لا .. لابدَّ لنا من تلقين رجل المخابرات هذا درسًا قاسيًا .. فليكن ألمانيًّا أو أمريكيًّا أو إنجليزيًّا ، ولكن هذا لن يهم أحدًا .. فلن تتبقَّ منه بقايا تصلح لدفنها حين ننتهى منه ..

* * *

نظرت (منى) إلى جثة (ڤون هملن) فى ذعر ، وصاحت :

ـــ لقد قتلوه يا (أدهم) .. مزَّقوه إربًا .

صاح (أدهم) وهو يزيد من سرعة الزَّورق ، حتى تصاعدت الأبخرة من حجرة محركه :

ـــ لقد حصلنا على الملف يا زميلتى ، وهذا هو كل ما يعنينى فى الأمر .

وفى تلك اللحظة ، أصابت رصاصات الهليوكوبتر جزءًا كبيرًا من سطح الزَّورق ، واختلط صوتها بصراخ (منى) ، وشعر (أدهم) بعجزه ، ولم يكن أمامه سوى مواصلة الانطلاق بالزَّورق فى خطوط متعرِّجة ، وهو يناور الهليوكوبتر فى محاولة للإفلات ، على حين أسرعت (منى) تخطف المسدَّس منه ، واستدارت تطلقه نحو الهليوكوبتر ، وابتسم (أدهم) فى شحوب ، وهو يقول ساخرًا :

ـــ هل تتوقَّعين هزيمة هليوكوبتر بمسدَّسك يا عزيزتى ؟

ولدهشته ولدهشة (منى) ، توقَّفت الهليوكوبتر عن مواصلة المطاردة ، وبدأت فى الدوران حول نفسها متراجعة ، وحدَّقت (منى) فى مسدسها بذهول ، وغمغمت :

ـــ ربَّاه !! لقد هربوا يا (أدهم) .

خفض (أدهم) من سرعة الزَّورق الحربى ، واستدار يتطلَّع إلى الهليوكوبتر ، التى ابتعدت وسط الظلام ، ثم

رفع رأسه يتأمَّل النجوم التى تملأ السماء ، وصاح فجأة :

ـــ ربَّاه !! لقد عبرْنا مياههم الإقليمية يا عزيزتى .. لقد نجحنا .

صرخت (منى) فرحًا ، وأجهشت ببكاء السعادة ، على حين ألقى (أدهم) نظرة سريعة على جثة (ڤون هملن) ، وقال وهو يوقف محركات الزَّورق :

ـــ مسكين أنت يا آخر جبابرة الجستابو .. لقد كافحت طويلًا ؛ كى تغادر هذه الحدود ، ولكنك حين نجحت فى تجاوزها ، كنت مجرَّد جثة هامدة .

وسار فى هدوء إلى حيث جلست (منى) تبكى ، فوضع يده على كتفها ، وقال فى حنان :

ـــ لقد انتهى كل شىء يا عزيزتى .. لقد نجونا ، وحصلنا على الملف الذى أتينا من أجله .. الوحيد الذى فشل هو (آخر الجبابرة) .

* * *

[تمت بحمد الله]

صدر من هذه السلسلة :

رجل المستحيل

١ ـــ الاختفاء الغامض . ٢ ـــ سباق الموت .
٣ ـــ قناع الخطر . ٤ ـــ صائد الجواسيس .
٥ ـــ الجليد الدامى . ٦ ـــ قتال الذئاب .
٧ ـــ بريق الماس . ٨ ـــ غريم الشيطان .
٩ ـــ أنياب الثعبان . ١٠ ـــ المال الملعون .
١١ ـــ المؤامرة الخفية . ١٢ ـــ حلفاء الشر .
١٣ ـــ أرض الأهوال . ١٤ ـــ عملية مونت كارلو .
١٥ ـــ إمبراطورية السم . ١٦ ـــ الخدعة الأخيرة .
١٧ ـــ انتقام العقرب . ١٨ ـــ قاهر العمالقة .
١٩ ـــ أبواب الجحيم . ٢٠ ـــ ثعلب الثلوج .
٢١ ـــ مضيق النيران . ٢٢ ـــ أصابع الدمار .
٢٣ ـــ فارس اللؤلؤ . ٢٤ ـــ الضباب القاتل .
٢٥ ـــ الخنجر الفضِّى . ٢٦ ـــ آخر الجبابرة .